

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

بين التجمع الحزبي والعمل الجماعي

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ
وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ..
فَإِنَّ فِسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الصَّالِقَةُ .. »

رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر

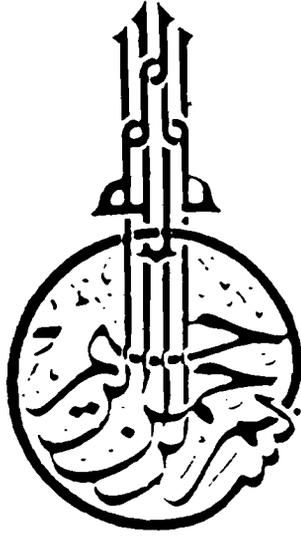
تأليف
محمد بسومي
عفا الله عنه

دار الأمانة

لنطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع حليل الحياط - مصطفي كامل

إكسترنه تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ

دار الأمان

للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفي كامل
إسكندرية تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي أنعم على عباده المؤمنين بالهداية والاعتصام بحبله المتين ، وجمعهم على الحق ، ووقاهم شر التشاحن ، وذل التخاذل ومن عليهم بالإخاء والألفة ، وجنبهم الاختلاف والفرقة .

أحمده أن هدانا لمعرفة الحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله لبيان سبيله الموصلة إليه ، والتحذير من سلوك سبيل الضلال ، فجمع به القلوب بعد الفرقة ، وأعزّ به بعد الذلة . وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً^(١) .

وبعد :

فإن من المعلوم لدى كافة المسلمين « إن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »^(٢) وبها أرسل جميع الرسل »^(٣) .

والعبادة كما يعرفها شيخ الإسلام بن تيمية . رحمه الله « هي طاعة

(١) « ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة » الشيخ عبد الله محمد الفنينان (ص ٥) .

(٢) الذاريات ٥٦ .

(٣) « مجموع الفتاوى » (١ / ١٥٠) .

الله بامتثال ما أمر الله به على السنة الرسل « (١) وقال أيضاً : « العباداة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة » (٢) .

ومن الأعمال الظاهرة التي يحبها الله عز وجل وأمر عباده بها هي أن يعتصموا بحبله ولا يتفرقوا . كما قال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (٣) وهذا أمر من الله لعباده بالاجتماع والاتلاف وعدم الفرقة والاختلاف ، ومن يخالف أمره سبحانه وتعالى فقد أوقع نفسه في الفتنة والعذاب الأليم كما قال عز وجل ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٤) .

وقد ذم الله تبارك وتعالى الفرقة في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ . قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتنبى إليه من يشاء ويهدى إليه من يئيب ﴾ (الشورى : ١٣) .

وقال تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ (الأنعام : ١٥٩) .

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن اختلاف اليهود والنصارى قبل البعثة لكنها عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له بجعله الدين مللاً ونحلاً فهذا العمل يكون قد لصقته البراءة من الله ورسوله (٥) .

(١) انظره فتح المجيد ، (ص ١٤) .

(٢) مجموع الفتاوى ، (١ / ١٤٩) .

(٣) آل عمران من آية رقم ١٠٣ .

(٤) النور ٦٣ .

(٥) انظر تفسيرين كثير (٢ / ١٩٦) .

ويؤيد هذا العموم الآية السابقة في كون النهى عن الفرقة مما أوصى به الله أولى العزم من الرسل ويؤكد أيضاً قول الباري عز وجل ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (آل عمران : ١٠٥) .

فهذا نهى^٣ من الله لهذه الأمة حتى لا تكون مثل الأمم الماضية في الاختلاف والفرقة بعد قيام الحجة حتى استحقوا بذلك العذاب العظيم .

وفيه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (الروم : ٣٠ - ٣٢) . فهذا نهى من الله عن التشبه بالمشركين الذين من صفاتهم الفرقة في الدين والتشتت شيعاً وأحزاباً .

وفي السنة النبوية نصوص عظيمة تأمر بالتمسك بالكتاب والسنة وتنتهى عن الخلاف والفرقة .

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) (١) .

(١) صحيح مسلم . كتاب الأقضية (١٧١٥) والموطأ (باب ما جاء في إضاعة المال) (١) .
الرجهين (٩٩٠) ومسنند الإمام أحمد (٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧) .

وروى الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفسحوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستخلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد ومن أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن) (١) . وأخرج أحمد من المسند عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : (الجماعة رحمة والفرقة عذاب) (٢) .

كما دلت النصوص الشرعية على مراعاة الوحدة وعدم الفرقة حتى فى الأمور الظاهرة لما لها من تأثير على القلوب وللعلاقة المتينة بين الظاهر والباطن .

فقد روى أبو داود بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال : أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه فقال (أقيموا صفوفكم .. (ثلاثاً) فوالله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم) (٣) .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ كان يمسخ المناكب فى الصلاة ويقول : (استروا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم) .

(١) إسناده صحيح كما قال شيخ المحدثين فى السلسلة الصحيحة (٣ / ١٠٩) وصحيح الجامع (٢ / ٣٤٥) .

(٢) إنظر صحيح الجامع (٣ / ٨٤) .

(٣) إسناده صحيح كما قال العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١ / ٣٦) وصحيح الجامع (١ / ٢٨٣) .

ففى هذين الحديثين دليل على عدم صلاح هذا الأمر الظاهر الذى هو تشويه الصفوف سبب للتفرقة بين القلوب كما أقسم على ذلك الصادق (عليه الصلاة والسلام) ولهذا بادر الصحابة رضى الله عنهم إلى الاستجابة لأمر النبى ﷺ إذ يقول النعمان بن بشير رضى الله عنه « فرأيت الرجل يلصق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه » ومن هذا الباب ما رواه أحمد وغيره بسند صحيح عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال : كان الناس إذا نزل رسول الله ﷺ منزلاً وعسكر تفرقوا فى الشباب والأودية فقال رسول الله ﷺ « إنما ذلكم من الشيطان » وكانوا بعد ذلك إذا نزلوا منزلاً اضم بعضهم إلى بعض حتى إنك تقول لو بسطت عليهم كساءً لعمهم « أو نحو ذلك » والذى ينظر فى أحوال المسلمين اليوم يدرك ما هم فيه من تفرق وتمزق والسبب فى هذا التفرق والتمزق هو أن الولاء بين المسلمين أصبح على اللافعات والأشخاص فانفرط بذلك عقد الإخوة والرابطة الإيمانية والنصوص تبين أن الولاء بين المسلمين يكون على قدر الالتزام بمنهج الله تعالى لا غير .

فمن التزم منهج الله نجه ونواله لذلك ، ومن وقعت منه بعض الانحرافات والتي لا تخرجه من دائرة الإسلام فإن عقد الإخوة يزال باقياً له مع عدم السكوت على انحرافاتة وغض الطرف عنها ، فننصحه وندعوه إلى الحق ، ونبغض ما يأتية من مخالفات ، فحالتنا معه أننا نجه من وجهه ونبغضه من وجه آخر ، وهذا هو المنهج الصحيح لقاعدة الحب والبغض « والأصل فى هذه القاعدة قوله تعالى « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » (التوبة : ١٠٢) .

فمن أخطأ أو زلّ فلا ينبغي أن نبغضه ونذمه بإطلاق كما فعلت

الخوارج ، فكفرت مرتكبي المعاصي ، كما أننا لا نمدحه مدحاً مطلقاً ولا نوصله إلى درجة أبي بكر وعمر بل وجبريل وميكائيل عليهما السلام كما فعلت المرجئة ، وإنما دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه .

ونصوص السلف - رحمهم الله تعالى - من أئمة السنة تذكر المنهج الصحيح في هذا الباب . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله تعالى :- « وإنه كثير ما يجتمع في الفعل الواحد أو في الشخص الواحد الأمران : فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر ، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما ، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر ، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية ، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية ، فهنا طريق الموازنة والمعادلة ، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان » (١) .

ويقول في موضع آخر : « ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه ، ويعذب ويغض من وجه آخر » (٢)

« ومن سلك طريق الاعتدال ، عظم من يستحق التعظيم ، وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ويرحم الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات ، فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ، ويغض من وجه هذا هو مذهب أهل

(١) الفتاوى (١٠ / ٣٦٦) .

(٢) الفتاوى (١٥ - ٢٩٤) .

السنة والجماعة ، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم ^(١) .
وهذا المنهج الذى يتحدث عنه شيخ الإسلام قد ندرَّ وجوده الآن
وذلك بسبب طغيان العصبية الحزبية على كثير من هذه المعانى ، حيث
أصبح كل فرد يعتقد فى جماعته أنها « المؤهلة لحمل الدعوة ، وأن
طريقها هو الأصوب والأسلم ، وأن من عداها من العاملين : مقصرٌ أو
منحرف أو مخطئ ، وأن على المسلمين أن يستسلموا لتوجيهها ، ويتبعوا
هديتها ، وتصرفت معظم الجماعات بناء على قناعتها أنها جماعة
المسلمين ، وإن نفت ذلك كلاماً فربت أولادها على الولاء الشخصى
لقادتها ، وفهم القضايا الإسلامية : الإعتقادية والشرعية والحركية من
خلال فهمهم ، وحاصرت وطاردت كل ما يخالف هذا الفهم ، أو ما
يمكن أن يؤدى إلى إنتقاده وتصحيحه ، وزرعت فى النفوس الشك والنفور
من كل ما خالفها بحق أو باطل . وشتت أكثر الجماعات على مخالفيها
حرباً كلامية تقوم على الظن والشائعات والأهواء . وطبعى بعد كل هذا
أن تترسخ مظاهر الفرقة والتباغض بين معظم العاملين وعلى معظم
المستويات ، وأن تبقى الأخطاء الموجودة بين الصفوف ، بل تزداد بتأثير
الدفاع عنها والتعصب لها ، ثم تسرب هذه الآثار المحيطة إلى محيط الأمة
الإسلامية ^(٢) . ولذلك كان من أهم « أسباب فشل محاولات توحيد
الصف : غياب وحدة المعتقد والمنهج والاختلاف المذموم والتعصب

(١) منهاج السنة النبوية (٤ / ٥٤٣) نقلاً عن (منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم
على الآخرين) إعداد هشام الصيبي (ص ٣٩ ، ٤٠) باختصار .

(٢) نقلاً عن « فى منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة » أحمد سلام (ص ١٨ - ١٩)
باختصار .

للجماعة والحزب» (١) .

ومما زاد في هوة الفرقة والاختلاف أننا نسمع من البعض قولهم : إن المسلم يأثم إذا لم يعمل من خلال جماعة ويأتون بالنصوص التي تتحدث عن الجماعة العامة ثم يطوعون هذه النصوص للجماعات الخاصة . كقوله ﷺ (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) (٢) وقوله ﷺ (من خرج من طاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يفضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتله جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذي عهد عهده ، فليس مني ولست منه) (٣) وقوله أيضاً ﷺ (من فارق الجماعة شيراً ، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه) (٤) .

وكثير من التنظيمات تورد هذه الأحاديث للتأثير على الآخرين ،

(١) « مجلة الفرقان الكويتية » (عدد ١٣ / صفحة ٤٦) إشارة من المحرر لموضوع المحاضرة التي ألقاها أئوفا الفاضل الشيوخ محمد بن إسماعيل في المؤتمر السنوي الثالث لجمعية القرآن والسنة في أمريكا . نقلا عن « الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون » للشيوخ على حسن عبد الحميد (ص ٢٤) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم في (صحيحه) وأحمد في (المسند) والنسائي في (المجتبى) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه أحمد في المسند (١٨٠ / ٥) وأبو داود وفي سنده وسند أبي داود خالد بن وهبان وهو مجهول ، لكن الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة منها عن الحارث الأشعري عند الترمذي (١٤١ / ٢) وإسناده صحيح وقال الترمذي « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم (٤٢٢ / ١) على شرطهما ووافقه الذهبي . أفاده الألباني في تحقيق المشكاة (٦٥ / ١) والحديث أيضاً في صحيح الجامع (٢٢٦ / ٥) .

وإقناعهم بضرورة الانتظام فى صفوفها ، فىنشأ عن ذلك إقتناع بأن جميع الذين لم يلتزموا بهذا الأمر آثمون ، ويخشى أن يموتوا موة جاهلية ، وهذا تلبس وتلبس !!

ولذلك فىبغى أن نعرف « ما المقصود بـ « الجماعة » التى يآثم المسلم بتركها ؟

هل المقصود « التنظيمات » الموجودة فى عصرنا ، والموزعة فى أرجاء الأرض ؟

أم أن المقصود « جماعة المسلمين » المجتمعين على بعة سلطان مسلم ؟
والذى يظهر من النصوص :

أن المعنى المتعین لـ « الجماعة التى يآثم المسلم بمفارقتها » هو « جماعة المسلمين الذين على رأسهم إمام مسلم » .

وإبراز هذا المعنى ضرورى فى هذه الأيام ، لأن النظر إلى « التنظيم » على أنه المقصود بـ « الجماعة » الواردة فى النصوص ، بىسطر - عملياً - على مواقف ومشاعر الكثرة الكاثرة من الذين يتحركون فى إطار التنظيمات الإسلامية المعاصرة ، وبظهر فى هذا الفهم الخاطىء فى أجلى صورته حين بترك فرد أو مجموعة تنظيمياً من التنظيمات القائمة وهذا يؤدى إلى مآسٍ نفسية وأخلاقية مدمرة .

لذلك فإننا نؤكد أن كل تنظيم من التنظيمات أو حركة من الحركات ، أو جماعة من الجماعات . إنما هى جماعة من المسلمين ، لبسوا - متفرقين أو مجتمعين - جماعة المسلمين . كما أن الذى

لا ينتسب إلى تنظيم إسلامي ، أو حركة إسلامية فإنه لا يكون مفارقاً للجماعة ، وإذا مات لم تكن ميته جاهلية .

كما يدعوننا انتشار الفهم الخاطيء لمعنى الجماعة التي يأتيها المسلم بمفارقتها إلى التأكيد على أن الأخوة بين المسلمين ، إنما هي بأصل الإيمان (إنما المؤمنون إخوة) وليسوا إخوة لانتمائهم لتنظيم ما أو حركة من الحركات .

ينشأ عن هذا أنه يجب أن يعامل معاملة المؤمن ، كل من تشهد له نصوص الإسلام أنه من المسلمين سواء كان في تنظيم أم كان غير منظم .

وحيثما يتجاوز العمل الإسلامي عتبات الحزبية ، ويكون العاملان ملتزمين في عملهم بمنهج الإسلام ، ولا يكون الإلتزام بالأشخاص أو التنظيمات أو الجماعات ، التي هي دائماً للخطأ والصواب ، والكارثة والخلل والأمراض والعلل تتسلل إلى صفوف العاملين من خلال العدول عن هذا المقياس .

وحيثما تخلع العصمة الكاذبة عن بعض الأشخاص ، والمبررات المضحكة التي توضع لتصرفاتهم وأخطائهم .

وحيثما تزول العصبية لفئة أو شخص ، التي لا تظهر إلا في حالة العمى العقلي ، وعدم الإبصار الصحيح ، أو في حالة عدم وجود العزيمة الأكيدة على الإلتزام بهذا الدين .

وحيثما توضع الأمور في نصابها ، وينظر إلى العاملين ، على أنهم

بشر ، فلا يفسقهم التلاميذ والمحبون ، ولا يبدعهم الشائتون والمبغضون ...
وحينها لا نعتبر عملية النقد والمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر اضطراب في العمل أو تشويش وتهويش وتمزيق للصف .

وحينها نبتعد عن التشرذم والطائفيات الجديدة ، التي تتمزق على
أرضها رقعة التفكير وتنمو الجزئيات وتغيب الكليات ويضطرب سلم
الأوليات .

وحينها تتغلب دراسة أسباب التقصير ، على عملية صناعة التبرير ،
وحينها تغيب كثير من المصطلحات السيئة التي تطلق على من فارق
حزباً ما ، لخلافٍ فكريٍّ معتمدٍ ، من مثل : « سقط على الطريق » أو
« انحرف » أو « انهزم » أو « ارتكس »

وحينها لا تتداخل الوسائل بالغايات ، ولا يترقف العمل المنتج ،
ولا تتمحور الصورة الإسلامية حول أشخاص ، لا ترى القضية الإسلامية
إلا من خلالهم ^(١) .

وحينها أيضاً يكون « الولاء عند السلم لله ولرسوله ، وللمؤمن
عقيدة راسخة ومبدأ ثابت لا يوالى على حزب ولا تجمع ولا مصلحة
ولا غاية ولا طريقة تخالف ما نص عليه جل شأنه في قوله « إنما وليكم
الله ورسوله والذين آمنوا » ^(٢) ولا يحتاج المسلمون إلى عقد يُكتب أو

(١) نقل عن (نصيحة ذهبية إلى الجماعات الإسلامية) ص (٢٣ - ٢٥) وهذا عنوان من
وضع الأخ مشهور حسن سليمان لإحدى رسائل شيخ الإسلام بن تيمية . وانظر أيضاً
« نظرات في مسيرة العمل الإسلامي » عمر عبيد حسنة (ص ٢١ ، ٢٢) .

(٢) سورة المسائدة من الآية رقم ٥٥ .

وثيقة تُختم أو منهج يُقرَّر فيه هذا المبدأ غير الكتاب أو السنة .

وليس لمسلم أن يوالى على طائفة أو تجمع أو يعادى عليها أو يرى أن الحق ما جاء عن طائفته والباطل فى غيرها « (١) فإن « علاقة المسلمين بعضهم ببعض فى الحياة الدنيا لم يدعها الشارع هملاً ومسرّحاً للمذهبية والحزبية تقطع ما أمر الله به أن يوصل « (٢) فالصلة الوثيقة إنما تعنى « الإلتزام دائماً بالمنهج الإسلامى ... بما شرعه الله وتجسّم قُدوةً حسنة فى حياة الرسول ﷺ وسيرته فهو المقياس وليس الإلتزام بالأشخاص أو الجماعات أو المذاهب أو الفرق أو الحكومات .

إن الخللَ والعللَ تتسلَّل إلى الحياة الإسلامية من العدول عن هذا المقياس أو محاولة اختلاسه من يد المسلم ومن ثم تكون العصمة التى تُخلع على الأشخاص والمسوغات المضحكة المبكية التى توضع لتصرفاتهم وأخطائهم التى تتناقض مع ما يُحبه الله ويرضاه .

ولا ينبغى للعبد المحب لله الذى يحب إخوانه فى الله أن يظن أن الدعوة إلى التزام المنهج وعدم التزام الأشخاص والشاريات واليافوظات : إرتداد إلى الفرقة وبعثة للجهود !

إن هذا الأصل الذى ترتبطُ به علاقات المسلمين بعضهم ببعض ليس من الأمور الاختيارية إنما هو تصحيح لمسيرة المجتمع المسلم وإلغاء

(١) (الحركات الإسلامية المعاصرة) (ص ١٠) عايش القرنى نقلاً عن (الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبى والتعاون الشرعى ص ٨١ .

(٢) الطليعة فى براءة أهل السنة (لعبد العزيز العتيبى) (ص ١٥) نقلاً عن (الدعوة إلى الله ...) لعلى الخطبى ص ٨٢ .

للإقطاعات البشرية في حياة الناس والتزام بالإسلام الذي ارتضاه الله ديناً
بينه رسول الله ﷺ أتم بيان^(١) .

والمحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق ، وتؤلف
المختلف هي رابطة (لا إله إلا الله) ... فهي الرابطة التي تجعل المجتمع
الإسلامي كله كأنه جسد واحد ، وتجعله كالبيان يشد بعضه بعضاً ...
فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها^(٢) .

وهذا كله يعدُّ من محاسن الإسلام : إنه نظم الحياة الاجتماعية
تنظيماً دقيقاً وربط أهل الإيمان بروابط وثيقة من الود والإخاء وأوجب
عليهم من حقوق التعاون والولاء ما يكفل وحدتهم الاجتماعية .

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الروابط الوثيقة بقوله ﴿ والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾^(٣) ويقول ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾^(٤) .

وقد نوه رسول الله ﷺ بهذه العلاقة الإيمانية وفخم شأنها وبين ما
يترتب عليها من الحقوق والآداب : قال رسول الله ﷺ (المسلمون متكافؤ
دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ويردُّ عليهم أقصاهم وهم يدٌ على من
سواهم)^(٥) .

(١) حلاوة الإيمان ، (ص ٥٢ - ٥٣ ، للأخ سليم الهلالي . نقلاً عن الدعوة إلى الله ...)
لملى الحلبي ص ٨٥ بتصرف يسير وانظر الحب والبغض في الله ، لسليم الهلالي (ص
١٥ - ١٦) .

(٢) أضواء البيان ، (٣ / ٤٤٧ - ٤٤٨) بتصرف ، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ،
نقلاً عن (الدعوة إلى الله ...) لملى الحلبي (ص ٨٥) .

(٣) التوبة آية ٧١ .

(٤) سورة الحجرات من الآية ١٠ .

(٥) رواه أبو داود (٤٥٣١) وابن ماجه (٢٦٨٣) وأحمد (٢ / ١٩٢) عن عبد الله بن
عمرو بسند حسن .

وقال ﷺ (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل
الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ ، تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى) (١) .

وقال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً) (٢) .

.... هذا غيضٌ من فيضٍ وفردٌ من عدٍّ مما أرشد إليه رسوله الله ﷺ
من حقوق المسلمين ومما أوجب عليهم الإسلام من الارتباط والتعاون
فيما بينهم ...

وهذا التولي هو أساس ارتباط المؤمنين فيما بينهم (٣) ، وباب
التعاون الشرعي والعمل الإسلامي الجاد مفتوح لمن هو له أهلٌ بضوابطٍ
ثابتة وقواعد راسخة (٤) وإنما قلنا بضوابط ثابتة وقواعد راسخة لأن
التوحيد بين الأطراف المتنازعة لا يكون على حساب المنهج السليم ولا
يكون على حساب التفريط في سلامة الأصول ، وحرصنا على الائتلاف
ووحدة الكلمة لا ينفعنا إن نحن فرطنا في وضوح كلمة التوحيد أو
تساهلنا في اهتزاز أصولها ... بل لو حاولنا ذلك - والعياذ بالله - وقعنا في
الشقاق والفرقة من حيث أردنا الوحدة والائتلاف .

ولذلك فتحن حين ندعو للائتلاف لا نغني الائتلاف مع أصحاب

(١) رواه البخارى (١٠ / ٣٦٦) ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير .

(٢) رواه البخارى (٥ / ٧١) ومسلم (٢٥٨٥) عن أبى موسى الأشعري .

(٣) الأحزاب السياسية في الإسلام (٤٣ - ٤٤) باختصار نقلاً عن الدعوة إلى الله ...
لعلى الطهلي ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) الدعوة إلى الله بين التجميع الحزبي والتعاون الشرعي ، لعلى حسن عبد الحميد الطهلي
(ص ٣٢) .

المذاهب الكافرة من علمانية ووطنية وقومية واشتراكية ورأسمالية وغيرها من مذاهب الملاحدة والزنادقة والكفرة ، ... ونحن حين ندعو للائتلاف لا نعنى الائتلاف مع الفرق الضالة مع خوارج ، ورافضة، وقدرية ، وجبرية ومرجئة ومعتزلة وأشاعرة ... وغيرهم من الفرق الضالة عن الصراط المستقيم .

فدعوتنا ليست للائتلاف مع الخوارج الذين اتسم منهجهم بالغلو الشديد فى فهم دين الله ... والذين أمر رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه عنهم بقوله « إقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً » . ودعوتنا ليست للائتلاف مع الرافضة الذين تستروا بستر التشيع لأهل البيت وابتدعوا فى دين الله مالم ينزل به سلطاناً .

ودعوتنا ليست للائتلاف مع القدرية الذين ينفون قدر الله عز وجل ، أو الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبر على الخير والشر كالريشة فى مهب الريح !!

ودعوتنا ليست للائتلاف مع المرجئة الذين يشيعون الفساد فى المجتمع الإسلامى بادعائهم أن المسلم هو من تلقظ بالشهادتين دون أن يلتزم بأى عمل .. وإن خالف أصول الشريعة ... وإن ناقض التوحيد بفعله .. ، فلسنا ندعو للإئتلاف مع هؤلاء الذين زعموا أنه لا يضر مع الإيمان معصية فجرأوا الناس على الاستهزاء بالشرائع والشعائر ، وكانوا دعاة فسق وانحلال .

ودعوتنا ليست للإئتلاف مع المعتزلة الذين يقدمون العقل على النقل وينفون صفات الله وقدره ويقولون بخلق القرآن ويقولون بخلو

مرتكب الكبيرة في النار وأنه (في الدنيا) في منزلة بين المنزلتين ؟ !

ودعوتنا ليست للإلتلاف مع الصوفية الذين يقولون بالحلول والاتحاد وأن الخالق مندمج في المخلوق فكلاهما - بزعمهم - شىء واحد ؟ !!! ..
أو أولئك الذين يعبدون أضرحة الموتى أو يزعمون أن للقرآن ظاهراً وباطناً ..
ظاهر يعرفه السذج من أهل السنة - بزعمهم - .. وباطن يعلمه أولياؤهم
وأقطابهم بما لديهم من إلهامات - بزعمهم - فلسنا ندعو للإلتلاف مع
هؤلاء أو مع غيرهم من الفرق الضالة .

ولابد من التفرقة في دعوتنا للإلتلاف ، بين هؤلاء المبتدعة من
الفرق الضالة وبين المختلفين من أهل السنة الذين نسعى لتأليفهم وجمع
صقوفهم .

فالمختلفون من أهل السنة ، وإن وقع بعضهم في تأويل فاسد وافق
فيه بعض الفرق الضالة دون أن يدعو إلى مذهب تلك الفرقة أو يفاصل
أهل السنة ويفارقهم عليه .. فإن هذا لا يخرجهم عن مسمى أهل السنة
والجماعة ؟ ! بل إن من علماء أهل السنة والجماعة من وقع في بعض
التأويلات وافق فيها بعض الطوائف . كالأشاعرة مثلاً دون أن يتبنى
مذهبهم أو يدعوا إليه ، ومن هؤلاء العلماء ابن حجر العسقلاني والإمام
النووي وابن الجوزي وابن عقيل . فهؤلاء الأعلام استدرك عليهم علماء
أهل السنة والجماعة بعض تأويلات وافقوا فيها الأشاعرة ومع ذلك ، لم
يخرج أحد من هؤلاء الأعلام عن مسمى أهل السنة والجماعة !

فيجب علينا دائماً أن نفرق بين من يتكبرون طريق الإسلام
وينحرفون عن منهج أهل السنة والجماعة إلى مناهج أهل البدع والضلالة

والفرقة .. وبين الذين يخطئون وهم يسرون على مناهج أهل السنة فهؤلاء أحوج إلى التصويب والرعاية والحوار منهم إلى المواجهة والتهوين والإحتقار^(١) .

وإن الواقع بين الجماعات الإسلامية الآن يجعل المرء يتساءل : ما هو المبرر الحقيقي لوجود مخاصمة بين كثير من هذه الجماعات التي ترفع كلها شعار السنة والجماعة ؟ وإذا كانت الاختلافات في العقول وتعدد الاجتهادات قد تبرر تعدد الطرق والأساليب التي تتبناها هذه الجماعات فما الذي يرر عدم تعاون هذه الجماعات نحو الغاية الواحدة المشتركة والهدف المنشود - مع احتفاظ كل من هذه الجماعات بشكلها الحالي - داخل إطار الجماعة الأم وهي جماعة أهل السنة بمعناها الشرعي الشامل الذي يستوعب ويقبل بل ويقر تعدد الاجتهادات ووجهات النظر في الحدود المعتبرة شرعاً ؟ .

إن غياب الفقه الشرعي العميق المتكامل لحقيقة منهج أهل السنة والجماعة . وغياب الإطار الاخلاقي والسلوكي الذي تميز به دائماً أئمة السنة وسلفنا الصالح هو الذي يرر لنا هذا الواقع الغريب الذي تعيشه هذه الجماعات التي ترفع شعار أهل السنة والجماعة .

إن (الجماعة) وكما يقرر شيخ الإسلام (ابن تيمية) : سبب ونتيجة في نفس الوقت : فالحرص على الاجتماع والإئتلاف والموالاتة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى ومجبة الخير للآخرين والحرص

(١) « نحو رحلة العمل الإسلامي » إعداد محمد محمد بدوي (ص ٩ - ١٣) باختصار وتصرف يسير .

على هدايتهم وإخلاص النصح لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر عليهم في كل حال : كل ذلك سبب لتنزل رحمة الله على الناس وإسباغ نعمه عليهم .

ومن رحمة الله على الناس ونعمه عليهم المحافظة على اجتماعهم وإتلافهم وموالاته بعضهم بعضاً .

إن النظرة الحزبية الضيقة التي تسيطر على معظم الجماعات الإسلامية والتعصب المقيت للأسماء والأشخاص واعتقاد كل طائفة أنها تملك الحق وحدها وأن غيرها ليس على شيء ، وتقديم المزاج الشخصي والهوى النفسى على الحكم الشرعى والانضباط الفقهي وتغليب مصلحة الجماعة على المصالح الشرعية للمسلمين ككل ومصادرة حق الغير فى التفكير والاجتهاد المخالف داخل إطار أهل السنة والجماعة . أضف إلى ذلك غياب القدوة والسلوكية والأخلاقية التي كان يمثلها أئمة أهل السنة الأعلام فى كل عصر وجيل كل ذلك كان محصلته هو ما نراه الآن من واقع ممزق واضطراب وتخطى فى مناهج وسلوك كثير من هذه الجماعات .

إن الفكرة السائدة بين كثير من هذه الجماعات : وهى اعتقاد كل منها أنها هى وحدها جماعة أهل السنة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة . وأنها هى وحدها المسئولة عن هذا الدين وأنها هى وحدها القادرة على فعل كل شيء والوقوف على جميع الثغور واجتياز كل المراحل وخوض كل المعارك والبدء دائماً من نقطة الصفر وحتى تقييم الخلافة وتسلم بنفسها مقاليد الأمور ومفاتيح الإدارة !!!

نقول إنها لفكرة غريبة عن هذا الدين ولا تتفق مع واقعية وتاريخ

هذا الدين . ودليل على عدم فهم حقيقة منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع واقع الأمور وحقائق الأشياء .

لقد اختلف السلف والأئمة وتعددت اجتهاداتهم في كثير من القضايا العلمية والعملية ونتج عن ذلك تعدد التيارات الفكرية والحركية وسقوط البعض في أخطاء إجتهادية أو تأويلات بعيدة ولكن الإخلاص في النية لله وحده والصدق في القول والعمل والالتزام بالعلم الشرعي والخلق النبوي جعلهم يحرصون خلال ذلك كله على وحدة الكلمة والمحافظة على الجماعة والأدب في الحوار أو النقد والصبر على المخالف مهما كان خطؤه والدعاء له بالهداية والخير ، مع التزام كل منهم بما يراه حقاً وصواباً والدعوة إليه ذلك أنهم كانوا يعون هذه الحقيقة جيداً .

إن التعاون فيما بينهم والمحافظة على جماعتهم الشاملة واتلافهم ووحدة كلمتهم والوقوف صفاً واحداً أمام عدوهم المشترك هو حياتهم ونصرهم ورحمة ربهم بهم .

إن اختلاف العقليات وتعدد القدرات وتنوع الملكات حقيقة واقعة وسنة كونية مقررة يجب قبولها واستيعابها وتفهمها بصدر رحب وعقل مفتوح طالما كان الالتزام أصلاً بالثوابت الشرعية عند أهل السنة وقوامها رد الأمر عند التنازع إلى الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأعلام . فما وسعهم فيه الخلاف فكيف لا يسعنا ؟ وهل نحن أعلم بدين الله وأحرص عليه منهم ؟

إن تعصب كثير من هذه الجماعات المعاصرة لأسماء وشعارات ما

أنزل الله بها من سلطان ، والمفاصلة وتحديد الولاء على أساس الانتماء للأشخاص واللافئات - وليس على أساس التقوى والعمل الصالح والولاء العام لجميع المسلمين - مع عدم تلقي الحق والخضوع له من مصادره الشرعية وإنما من نظرة حزبية ضيقة ورؤية القيادة أو مزاجها هو الذي يجمد العقل والسلوك كلاً عند حدود جماعته ، وهو الذي يصنع تلك الحدود الموهومة التي تحيط بها كل جماعة نفسها والتي تصور لأفرادها فى النهاية أنها هى وحدها الحق وكل ما عداها باطل أو خطأ أو انحراف .

إن العمل الجماعى المنظم واجب شرعى ومطلب عقلى وواقعى سواء للمسلمين أو لغيرهم فهذه سنة من سنن الله فى خلقه فالإنجازات المطلوبة من الجماعة لا يقوم بها فرد أو أفراد متفرون . ولكن الجماعة أيضاً لا يمكن أن تنجز ما هو مطلوب منها إلا إذا استغلت إمكانيات وقدرات ومواهب وملكات أفرادها على تنوعها وتباينها استغلالاً علمياً منظمًا تستثمر به أفضل ما يمكن أن يأتيه كل منهم فى تناسق وتوازن تتحقق به المصلحة الشرعية العامة للجماعة وليس مصلحة فرد منها .

وكذلك لا يمكن أن تنجح الجماعة إلا إذا كان أفرادها - وقادتها أولاً - مقتنعين بتلك السنن وأن الفرد - كفرد - مهما كانت إمكانياته وقدراته ومواهبه وملكاته لا يمكن أن يناطح سنن الله فيحقق بمفرده ما هو مطلوب من جماعة بكاملها بل عليه أن يسخر كل ما يملك فى مصلحة الجماعة دون خلل فى التنسيق بين عمل الفرد وعمل الجماعة ككل . وكل جماعة من الجماعات الإسلامية هى فى النهاية كفرد واحد تشكل مع غيرها من الجماعات الأخرى الجماعة الأم بمعناها الواسع والشامل عند أهل السنة بغض النظر عن الحصار الوهمى الذى تفرضه بعضها على

نفسها أو يفرضه عليها الآخرون وبغض النظر عن الحدود الإقليمية المصطنعة التي تقسم جسد الأمة المسلمة إلى دويلات وعصبيات وولاءات محدودة بالمكان كالمدينة والإقليم والدولة ، أو الزعامة أو الطائفة أو الحزب أو غير ذلك من اللافئات أو الشعارات التي لا تزن مثقال ذرة في ميزان الحق عز وجل .

إن العمل للإسلام من خلال هذه الجماعات أمر لا غبار عليه لا شرعاً ولا عقلاً ، وتسخير جهد كل فرد لخدمة هذا الدين من خلال تجميع منظم ومتناسق مع جهد الآخرين أمر واجب شرعى مطلوب بدهاء ولا مفر منه . ولكن الخطأ والانحراف عن منهج أهل السنة والجماعة أن يقدم الولاء للجماعة الصغيرة على الولاء للجماعة الكبيرة (*) .

وأن تقدم المصلحة المتوهمة للجماعة الصغيرة على المصلحة الشرعية الحقيقية للجماعة الكبيرة وأن يضحى بالمهمة المطلقة والواجب الأكبر في سبيل تحقيق المصلحة المرجوحة .

ورحم الله شيخ الإسلام بن تيمية حيث قال : (وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه) (١) .

• فنحن في أمس الحاجة إلى دعوة مفتوحة عالمية لكل الأمة والله عز وجل قد أنعم علينا وكفانا باسم الإسلام ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على

(*) أى جماعة أهل السنة بمعناها العام والشامل .

(١) • أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى • محمد عبد الهادى المصرى (ص ١٩٠ - ١٩٣) باختصار يسير .

الناس ﴿ (١) فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات
وصفوة الأفراد (٢) .

« أليس من المحزن والمؤسف أن تنقسم إلى فرق وجماعات وتفرق
إلى كتل وأشياخ كل جماعة بما لديهم فرحون ، ونحن نظن أننا ننصر
الإسلام ونحقق في المجتمع وحدة المسلمين وعزتهم المنيعة ؟ فما حال
تفرقتنا وتنافرنا إلا كحال من قال الشاعر في حقهم .

وما شكواى أو شكواك إلا

بقوضى فى الجامع وانقسام

ترى كلاً له أمل وسعى

وما لإثنين حولك من وئام

لكل جماعة منا إمام

ولكن الجميع بلا إمام

إن الوصول إلى النصر لا يتحقق إلا بجهة قوية تضم أكبر عدد
ممكن من العلماء العاملين والدعاة الصادقين ﴿ (٣) .

واعلموا أننا ندعوكم للاجتماع على المنهج الواحد الذى سار عليه
سلفنا الصالح رضوان الله عليهم « فنحن لا ندعو إلى جماعة جديدة أو
اسم من الأسماء التى يتصارع عليها العاملون للإسلام ، وإنما هى دعوة

(١) سورة الحج من الآية ٧٨ .

(٢) « نحر وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بلرى (ص ١٤ - ١٥) باختصار يسير .

(٣) « إلى ورثة الأنبياء والدعاة إلى الله » عبد الله ناصح علوان (ص ٥٦) .

إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . دعوة إلى الانتماء لجماعة (أهل السنة) الذين ميزهم دائماً اجتماعهم على الاتباع دون الابتداع فهم يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه النبي ﷺ .

دعوة نجعل فيها راية (لا إله إلا الله) راية (أهل السنة والجماعة) .. هي الولاية التي ينطوي تحتها كل المخلصين أفراداً وجماعات .. الراغبين في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم ... ثم نوزع فيها بيننا الأدوار أدوار الأفراد وأدوار الجماعات لنقوم بمهمة التغيير المنشود (١) .

فإنه من المحزن للقلب أن نرى العصبية الحزبية قد عملت عملها حتى أفرزت هذا الكلام وهو قول الشيخ « جاسم المهلهل » (بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أى شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ولو كان أروع المدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأكثرهم قراءة للكتب ومن أشد المسلمين حماسة وأخشعهم في الصلاة) (٢) .

وهذا كلامٌ خطير للغاية « ففى الوقت الذى بدأ المسلمون فيه يتخلصون من العصبية المذهبية الفرعية أخذت الأحزاب تفتح فى التعصب من وجهٍ آخر هو أشدُّ تأثيراً وأثراً » (٣) .

(١) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بديرى (ص ٨ - ٩) .

(٢) « للدعاة فقط » (ص ٩٦) نقلاً عن « الطريق إلى الجماعة الأم » لثمان نوح (ص ٨١) .

(٣) « حكم الانتماء » للشيخ بكر أبو زيد (ص ١٤٥) نقلاً عن « الدعوة إلى الله ... لعلى الجبلى » (ص ٢٥) .

فلماذا ترفض يا أخانا الكريم من ينفر من التقييد بخططكم ونظامكم حتى ولو كان أروع الدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأكثرهم قراءة للكتب . لماذا تحجب عن إخوانك الاطلاع على وجهات النظر الأخرى ؟ وتجعل « الحزبيين يمنعون أتباعهم من مجالسة غيرهم ممن ليس معهم أو ليس « مؤازراً لهم » (١) .

وهذه والله « إحدى آفات الحزب والتعصب . ذلك أن الاطلاع على وجهات النظر المتعددة والمقارنة بينها يؤهل الإنسان ويمنحه القدرة على المراجعة والمناصحة والتصويب والتقويم » (٢) ولذلك قال الإمام الثقة أيوب السخيتاني : « إذا أردت أن تعرف خطأ معلمك فجالس غيره » (٣) .

فما هو السبب الرئيسي لمثل هذه النظرة القاتمة المظلمة حول النقد والإصلاح ومعرفة الأغلاط ؟

السبب الرئيسي « في إعتقادي (هو) أن الحركة الإسلامية تأثرت إلى حدٍّ بالجو الحزبي الذي تعيشه البلاد العربية في هذه الحقبة من الزمن .. حتى كادت تتلوث طبيعة العمل الإسلامي وأساليبه . في بعض الأحيان بالروح الحزبية الضيقة التي لا تتفق بحال ونزعة الانفتاح والإنسانية في

(١) « الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي » لعلي عبد الحميد (ص ٥٩) .

(٢) « من مقدمة عمر عبيد حسنة للكتاب « فقه الدعوة » (١ / ٨ كتاب الأمة) نقلاً عن « الدعوة إلى الله . لعلي الحلبي (ص ٦٦)

(٣) رواه الدارمي في « سننه » (١ / ١٥٣) نقلاً عن « الدعوة إلى الله .. لعلي الحلبي (ص ٥٩)

الإسلام» (١) بل إن « من كوارث العمل الإسلامي وارتداده وانقلاب نشاطه الفكر الحزبي فعندما يكسب تنظيم ما عضواً يدين بالطاعة ولا يناقش ويتابع الأوامر فهذا يُعتبر منتعياً والعكس بالعكس وكان من نتائج هذه الطريقة التربوية أن خرج جيلٌ أو مجموعةٌ كبيرة من الشباب تنتظر الأوامر فقط ، بذلك حرمت من ميزة الإبداع والحركة الذاتية ، والإبداع هو سر تفوق الدعوات وعلى العكس : خسرت بعض التنظيمات أهم عناصرها وأنشطتها وأكثرها إبداعاً » (٢) وهذه الأمور تجعل اللقاء بين العاملين في حقل الدعوة إلى الله غير ممكن حيث أن « الروح الحزبية وروح التعصب توجد جواً عجبياً عند اللقاء حيث يحمل كل فرد على عينه نظارات من نوع خاص بلون معين ، فلا يرى الوجود حوله إلا بهذا اللون وفي مستوى الأفكار : لا يرى احتمال خطئه مع شعوره بأحقية ما يحمل ، بل الحق المطلق عنده والخطأ المطلق عند غيره » (٣) . فهو يعتقد أن الحق مصور في جماعته وأن أميره هو الوحيد الذي استطاع أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً وتخرج علينا الكتابات التي تؤكد هذا المعنى بكلام فيه غلو شديد أشبه بغلو المرید في شيخه وطريقته !! .

فاستمع إليه يقول (ولا نعلم أنه من بين خلق الله من فطن لهذا كله ولغيره من شروط جماعة المسلمين كما فطن إلى مجموع ما يلزم لتحقيق الجماعة الإسلامية أهدافها على كل مستوى من صياغة للمسلم

(١) « مشكلات الدعوة والدعاية » فتحى يكن (ص ١٣٢) نقلاً عن « البيمة » لملى حسن عبد الحميد الحلبي (ص ١٠٥٩) .

(٢) « فى النقد الذاتى » (٢٢٨) خالص جلى . نقلاً عن « البيمة » لملى الحلبي (ص ١٠) .

(٣) « فى النقد الذاتى » (٣٥) خالص جلى . نقلاً عن « البيمة » لملى الحلبي (ص ١٢) .

إلى إقامة للدولة المسلمة في كل قطر إلى الوصول للدولة الإسلامية العالمية كحسن البنا رحمه الله^(١) ويقول « وفي هذه السلسلة أثبتنا بما يقبل جدلاً عند المنتسفين أن أحداً لم يضع قدم المسلمين في هذا العصر في طريق تحرير من الوهن ثم في الطريق إلى جماعة المسلمين ، وإمام تتوفر فيه الخصائص كحسن البنا رحمه الله^(٢) ويقول « إننا لا نرضى لأنفسنا أن ننتقل بعيداً عن سير الأستاذ البنا لأن التفريط في ذلك تفريط في السير الصحيح لنصرة الإسلام في هذا العصر^(٣) » وأن المسلمين ليس أمامهم إلا فكر الأستاذ البنا إذا أرادوا الانطلاق من الصحيح^(٤) ويقول أيضاً « ولا زالت دعوة الإخوان وحدها هي الجسم الذي على أساسه يمكن التجمع الإسلامي في العالم^(٥) » ويقول « ولكن الأيام ستكشف - والله أعلم - أنه لن تستطيع الحركة الإسلامية ولا في طور من أطوارها سواء قبل الدعوة أو بعدها أو في السياسة الداخلية أو في السياسة الخارجية للدولة الإسلامية أو في التربية أو في التكوين أو في الاستراتيجية والحركة أن تستغنى عن فكر الأستاذ البنا رحمه الله ، ولئن كان البنا بمجموع ما حباه الله عز وجل هو المرشح الوحيد لأن يطرح نظريات العمل الإسلامي

(١) من أجل خطوة إلى الأمام ، سعيد حوى (ص - ٢٧) . نقلاً عن « البيعة » لعلى الطيبي (ص ١٢) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١ . نقلاً عن مؤلفات سعيد حوى ، لسليم الهلالي ص ١٤٤ .

(٣) في آفاق التماثل ، سعيد حوى (ص ١٢) . نقلاً عن مؤلفات سعيد حوى ، لسليم الهلالي ص ١٤٤ .

(٤) المصدر السابق (ص ٥) . نقلاً عن مؤلفات سعيد حوى (ص ١٤٤)

(٥) « دروس في العمل الإسلامي » سعيد حوى (ص ١٣) . نقلاً عن مؤلفات سعيد حوى (ص ١٤٥) .

فالدعوة التي أقامها تركيب ذو نسب معينة فمتى اختلفت هذه النسب حدث الفساد^(١) ولا زالت دعوة الإخوان وحدها هي الجسم الذي على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامي في العالم^(٢) وإن جماعة الإخوان لا غيرها هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها^(٣) وبهذا لا يسع مسلماً أن يتخلف عن هذه الدعوة^(٤) وما قاله هذا في جماعته وقائده يقوله الآخر- مع تغاير في الأسلوب والكلمات - في جماعته وأميره ، وفي ظل هذه الحالة السيئة كيف يمكن اللقاء ؟ !

وما يزيد الأمر تعقيداً أنه إذا حاول مسلم أن يناقش ويصلح ، سعوا ليكيلوا له أطنان التهم ، وأمتاراً مكعبة من القول الفاسد الفارغ وقالوا فيه ما لم يقله مالك في الخمرة (فاستمع إليه يقول) ثم إنه قد نبئت هنا وهناك أفكار مريضة تريد أن تلخص من دعوة حسن البنا ومن أفكاره فكان لا بد أن يعرف هؤلاء غيرهم أن الإنطلاقة على غير فكر الأستاذ البنا في عصرنا قاصرة أو مستحيلة أو عمياء إذا ما أردنا عملاً كاملاً متكاملًا في

(١) في آفاق التعاليم ، ص ١٣ . نقلًا عن مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم ، سليم الهلالي ص ١٤٥ .

(٢) دروس في العمل الإسلامي ، سعيد حوى ص ١٩ . نقلًا عن مؤلفات سعيد حوى .. ، سليم الهلالي ص ١٤٤ .

(٣) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ، سعيد حوى ص (٢٩ - ٣٠) نقلًا عن مؤلفات سعيد حوى .. ، ص ١٤٦ .

(٤) في آفاق التعاليم ، سعيد حوى ص ١٧ . نقلًا عن مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم ، سليم الهلالي ص ١٤٦ .

خدمة الإسلام والمسلمين « (١) .

ولهذا فهم يرفضون النصح ويحسبونهم هدماً ويسمون تصحيح المسار تخريباً ويقولون « أما الذين يزعمون لأنفسهم تصحيح المسار من خلال تخريب الجماعة ! ويريدون أن ينطلقوا من نقطة الصفر فإننا نقول لهم : لقد فاتكم القطار ، فنقطة البدء وجدت منذ خمسين عاماً عن كتابة هذه السطور وتصحيح المسار من الداخل ، وفي البناء لا التهديم !! « (٢) .

فانظر رعاك الله ، كيف جعلوا قطارهم كسفينة نوح !! واشتروا أن يكون الصحيح من الداخل !! ومعنى هذا الشرط أن التصحيح إذا جاء من الخارج لا يقبل !! فلماذا نقيم « السدود أمام كل محاولة نقد أو مراجعة للأخطاء » (٣) .

فإذا كنا نريد التغيير المنشود حقاً « لا بد أن نتخلص من عقدة رفض النقد التي طالما سدت علينا الطريق لتطوير حركتنا فالحقائق مهما كانت ثقيلة ومريرة أجدى نفعاً من التهرب منها ، والحركة التي نخشى أخطائها ليست حركة صحيحة وإذا اكتشفت خطأ من أخطائها ثم التفت عنه فالأمر أدهى وأمر « (٤) ؟ !

(١) « في آفاق التعاليم » سعيد حوى ص ٥ . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم » سليم الهلالي ص ١٤٥ .

(٢) « المدخل إلى الإخوان المسلمين » سعيد حوى (ص ٢٠) . نقلاً عن « البيعة » لعلي الطنبي (ص ٨) .

(٣) « نحو وحدة الممثل الإسلامي » محمد محمد بديري (ص ٣٤) .

(٤) « نحو وحدة الممثل الإسلامي » محمد محمد بديري (ص ٣٤) .

إن من فساد النظر الاعتقاد بأن عملية النقد والمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تُحدث تشويشاً في الصف الإسلامي ، واضطراباً في العمل ... ذلك أن الصف أو الجماعة التي تخشى من الحوار وتخاف من المناصحة ويلبس الشيطان على بعض أفرادها بأن الأمر بالمعروف ومحاربة المنكر يهدد كيانها ، جماعة لا يوثق بها ولا تستحق البقاء ولا تستأهل حمل رسالة الإسلام التي من أولى متطلباتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففاقد الشيء لا يعطيه ، إن مطارده عمليات المناصحة ومحاصرتها والقضاء عليها ، تنطوي على خطورة كبيرة ، تودي بأصل القضية في سبيل استبقاء الصورة الشكلية للعمل والدعوة ، حيث تنقلب الوسيلة - التعاون في إطار الجماعة للوصول إلي قدر أكبر من الخير غاية بحد ذاتها . إن التسلط الفردي والإرهاب الفكري الذي يقع فيه أحياناً بعض العاملين للإسلام عندما يغيب عن ساحة العمل البعد الإيماني العيني ، وما يقتضيه من خفض الجناح ، ولين الجانب ، والخلق الكريم ، يؤدي إلى لون من التشرذم ، وضرب من الطائفيات الجديدة ، تتمزق معها رقعة التفكير وتنمو الجزئيات وتغيب الكليات ويضطرب سلم الأولويات ، ويضيع تصنيف المشكلات ، ويتوقف العمل المنتج ، وتنقلب الوسائل إلى غايات - كما أسلفنا - وتتمحور الصورة الإسلامية حول أشخاص لا ترى القضية الإسلامية إلا من خلالهم وينقلب جهد العمل إلى صناعة المبررات وتتغلب عملية تصنيع التبرير على عقلية دراسة أسباب التقصير ، ولا تعالج هذه القضية إلا من خلال ممارسة الحركة الفكرية ، والحوار الشامل ، والتزام أدب الخلاف الإسلامي ، وجعل المشروعية لنمبديء الأفكار وليس للوسائل والأشخاص ، إن العقيدة مقرها القلب ولا سلطان لأحد عليه إلا سلطان الدليل ، والقناعة بالشيء

هي الدافع لممارسته ، والله تعالى خاطب النبي ﷺ بأن الغاية من ابتعائه إلحاق الرحمة بالعالمين قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) وقال : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ (الغاشية : ٢٢) وقال مخاطباً نبيه أيضاً ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس : ٩٩) وقال : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (آل عمران : ١٩٩) وهذه من الأبيديات الأولى في الدعوة إلى الله ، وإلحاق الرحمة بالعالمين ،^(١) فيامن تتطلعون إلى رحمة رب العالمين اعلموا أن سبب الاجتماع والألفة جمع الناس على الدين والعمل به كله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما أمر به باطناً وظاهراً ، وسبب الفرقة ترك حظ مما أمر العبد به ، والبغى بينهم :

ونتيجة الجماعة : رحمة الله ورضوانه وصلواته ، وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه .

ونتيجة الفرقة : عذاب الله ولعته وسواد الوجوه وبراءة الرسول من أهلها^(٢) .. فالحرص على الاجتماع والاتلاف والمواولة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى سبب من أسباب تنزل رحمة الله ، كما أن نتيجة هذه الرحمة من الله أن تتألف القلوب وتجتمع بعد الفرقة^(٣) وقد كانت وحدة الأمة ورفع الفرقة هي النعمة التي امتن الله عز وجل بها

(١) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر عبيد حسنة (ص ٣٦ ، ٣٧) .

(٢) فتاوى ابن تيمية ، (١ / ١٧) نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامي » محمد بدرى (ص ٢٨) .

(٣) « أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقية الكبرى » محمد عبد الهادي المصري « نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامي » (ص ٣٥) .

على المؤمنين فقال عز وجل ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ (١) وكانت هي النعمة التي امتن بها رسول الله ﷺ على الأنصار حين قال لهم ﴿ ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فجمعكم الله بي ﴾ (٢) .

فالراجون رحمة الله يحافظون على الجماعة وينبذون الفرقة وشعارهم ﴿ الوحدة والاتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف مع كل فصائل أهل السنة والجماعة التي تعمل في الساحة الإسلامية ﴾ .

والراجون رحمة الله : يوالون إخوانهم العاملين للإسلام ولإيادى عاماً ، فلا يحكمون على فرد من أفراد الحركة الإسلامية بمجرد انتمائه إلى فيصل من فصائلها أو التعاون معه ، ولا يحكمون على فيصل من فصائل الحركة الإسلامية من خلال تحرك فرد من أفرادها . بل يوالون المؤمن من أى فيصل كان ويتعاونون مع فصائل أهل السنة وإن كان بعض أفرادها على غيرها وصفتهم التي تميزهم ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٣) .

والراجون رحمة الله : يجعلون الحب في الله والأخوة فيه عز وجل بديلاً للجماعة الواحدة التي يأملون أن تكون في يوم من الأيام هي « الأمة » المتآخية المتحابية كما أمر رسول الله ﷺ في قوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٤) .

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣ .

(٢) ﴿ نحر وحدة العمل الإسلامي ﴾ (ص ٩)

(٣) سورة الفتح من الآية رقم ٢٩ .

(٤) ﴿ جند الله تخطيطاً ﴾ ، سعيد حوى ، نقلاً عن ﴿ نحر وحدة العمل الإسلامي ﴾ (ص ٣٧)

والحديث سبق تخريجه .

وهم يشعرون فى إخوانهم أنهم « جمال الدنيا والآخرة » ..
ويعلمون أن « العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل » كما يقول
الشافعى (١) .

ولذلك . فالراجون رحمة الله - يقبلون الآن أن تكون فصائل
العمل الإسلامى مدارس حركية يختار الفرد منها ما يشاء دون أن يؤدى
ذلك إلى معاداته المدرسة الأخرى (٢) . ما دامت تلك المدرسة تسترشد
بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة وتشكل رافداً يصب فى نهر أهل السنة
الكبير .

والراجون رحمة الله : لا يدعون أحداً إلى التخلّى عن شيخه الذى
علمه أو جماعته التى يتعاون معها وإنما يريدون من كل عامل للإسلام
أن يدرك أن شيخه وجماعته وسيلة لغاية هى الإسلام . ولذلك فلا بد أن
يكون إرتباطه بشيخه أو جماعته بقدر كون هذه الجماعة أو ذلك الشيخ
وسيلة إلى هذه الغاية على خير وجه (٣) .

والراجون رحمة الله : يعرفون لقادة الحركة الإسلامية وأئمتها
مقاديرهم ومراتبهم ولكنهم مع ذلك لا يعطونهم العصمة التى لا تكون إلا
لرسول . فهم يقدرونهم ولا يقدسونهم وهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم
بل كما يقول بن القيم « لا بد من معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم

(١) « هكنا ظهر جيل صلاح الدين » ماجد الكيلانى . نقلاً عن « نحو وحدة العمل
الإسلامى » محمد محمد بدرى (ص ٣٧) .

(٢) « هكنا ظهر جيل صلاح الدين » ماجد الكيلانى . نقلاً عن « نحو وحدة العمل
الإسلامى » (ص ٣٨) .

(٣) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى (ص ٣٨) .

حقوقهم ومراتبهم ، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه ، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفى عليهم ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق بخلافها لا يوجب إطراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقعة فيهم فهذان طرفان جاثران عن القصد وقصد السبيل بينهما ألا تؤثم ولا نعصم ، ولا نسلك بهم مسلك الراضة في علي ولا مسلكهم في الشيخين بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة ، فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها (١) .

فالراجون رحمة الله : يعلمون قدر كل رجل من رجال الحركة الإسلامية فمهما كان عظيماً لا يتعدون به حد الرجل وإذا أخطأ لا يقلون من قيمته وقدره . فلا يعصمونه عن الخطأ ولكن يقون على مكانته وقدره وإن أخطأ . وذلك لأن من له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً - كما يقول ابن القيم - أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأله بإمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزله في قلوب المسلمين (٢) .

والراجون رحمة الله : لا يتصرون انتصاراً عاماً مطلقاً إلا لرسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ويعلمون أن الحق والهدى يدور مع

(١) « إعلام الموقعين » (٣ / ٢٨٣) . نقلاً عن « نوره وحده العمل الإسلامي » محمد ببرى (ص ٣٩) .

(٢) « إعلام الموقعين » (٣ / ٢٨٣) . نقلاً عن « نوره وحده العمل الإسلامي » محمد ببرى (ص ٤٠) .

أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ، كما يقول ابن تيمية ^(١) .

والراجون رحمة الله : يعلمون (فقه التعامل مع الداخل الإسلامي ، ويعرفون القواعد المشتركة والحدود الفاصلة في الحركة الإسلامية وأين تلتقى الفصائل الإسلامية وكيف تتعاون . لذلك فهم في هذا الإطار يحاولون إيجاد صيغة للالتقاء والانسجام الحركي بين كل فصائل العمل الإسلامي بحيث يسير الجميع وفق منهاج أهل السنة والجماعة وتكون لهم الأهداف الواضحة الثابتة التي لا تقبل التراجع أو المساومة ، والبرامج المستقبلية الواضحة التي يتكامل فيها المسلمون فيما بينهم وينفتحون على بعضهم ويتعاونون على البر والتقوى ويكون هدفهم عزة الإسلام وسيادته على أرجاء الأرض ^(٢) .

(قَلَّةٌ تُنْفِذُ الْمَوْقِفَ)

إذا كان واقعنا المعاصر يقول إن كثيرا من العاملين في حفل الدعوة الإسلامية قد تأثروا - بنسب متفاوتة - بالعصية الحزبية إلا أنه توجد فئة من الدعاة والعلماء والشباب المخلصين لم يتأثروا بهذه العصية وهذه الفئة نرجوا منها أن تكون هي القلة التي تنفذ الموقف فإن ^(٣) من الأمور الطيبة أن توجد في الساحة الإسلامية مجموعة واعية تتبنى فكر أهل السنة والجماعة ، وتعمل على التقريب بين فصائل الحركة الإسلامية ، ومنا

(١) « حكم الانتماء إلى الجماعات والأحزاب الإسلامية » للشيخ بكر أبو زيد . نقلًا عن « نحو وحدة العمل الإسلامي » (ص ٤٠) .

(٢) انظر « نحو وحدة العمل الإسلامي » محمد محمد بديري (ص ٣٥ - ٤١) .

انتدب نفسه لهذه المهمة فيجب عليه أن يتلطف في إدخال المفيد النافع على من يحدثهم دون جدل بل بالأدلة الموضوعية .

ولاشك أن وجود هذا الصنف من الدعاة هو المقدمة الصحيحة لتعميم مفاهيم أهل السنة والجماعة في كل الحركة الإسلامية ، ولإزالة الحواجز بين العاملين للإسلام ، بحيث لا يتحرج فرد من الانتساب إلى فصيل من فصائل الحركة الإسلامية ، والتعاون مع الآخر في الخير .. فيخرج ذلك جيلاً من الإسلاميين تتطابق أهدافهم في الحياة بدل أن تتناذب ، وتتكامل أفكارهم بدل أن تتصارع وتختلف !! وتكون غايتهم خالصة لله عز وجل .

ولن تكون هذه المجموعة التي نتحدث عنها حزباً أو جماعة وإنما هي بمثابة مدرسة تربية تركز على تنظيف عقول أفرادها من المقولات الخاطئة المتعصبة وتطهير قلوبهم ونفوسهم من الأغراض الشخصية .. ثم مراجعة الأفكار وأساليب العمل المطروحة على الساحة الإسلامية وهكذا يمكن أن تبرز حركة تجديدية إصلاحية تتضافر فيها الجهود ويهجر فيها الأفراد خصوماتهم^(١) .

كيف نلتقي ؟

إذا كنا نستشعر حجم المحنة التي وقعت فيها الأمة نتيجة لهذه الفرقة وأردنا حقاً أن نتغلب على هذه المحنة وكنا صادقين في دعواتنا فعليتنا أن نسعى جميعاً إلى الالتقاء ولكي يتم هذا الأمر فلا بد من حوارات مفتوحة مع كل الدعاة الصادقين ، ولا بد من تعارف فصائل الحركة

(١) « نحو وحدة العمل الإسلامي » محمد محمد ببرى (ص ١٦ - ١٧) .

بعضها على بعض عن قرب والحذر من الشائعات .. ، وكثيراً ما يحل التقاء قيادات فصائل الحركة الكثير من الاختلافات التي يثيرها نقلة الأخبار ومثيرو الإشاعات ؟ ! ولنجعل من هذه الحوارات لونا من ألوان الشورى حول مجموعة القضايا الأساسية في الدعوة ولعل الله عز وجل أن يخرج منها جيلاً طليعياً يهتدى إلى سبيل عودة أمة الإسلام ، يحدد مواطن الخلل ويكتشف الطريق الأصوب ، ويجمع البصيرة إلى جانب البصر ، ويلتزم منهاج الطائفة القائمة على الحق الحاملة للرسالة الخالدة « أهل السنة والجماعة » .

ولاشك أنه لإنجاح هذه الحوارات لابد لها من قواعد ، فقواعد الحوار فضلاً عن أنها آداب وأخلاق فهي جزء رئيسى ومؤثر فى فعالية أى عمل يبنى على الحوار ، وما أى عمل فى بدايته سوى شروع يحتوى بعض الكلمات والأفكار .

ومن أهم قواعد الحوار ما يلى :

١ - عدم تسفيه المخالف فى الرأى أو تجهيله أو التهكم عليه ..

فالحوار يكون بالمعالجة العلمية الموضوعية ، وإذا أصاب المتحدث من مخالفه شئ من التسفيه فلا يقابله بالمثل ، وإنما يدفع بالتى هى أحسن ﴿ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ (١) .. وقال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (٢) .

(١) سورة فصلت الآية رقم ٣٤ .

(٢) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .

٢ - ترك المراء

فحتى مع ملكية الحق ، لا بد من ترك المراء ، كما يقول ﷺ (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً) (١) .

فترك المراء يمنع التفرق ويضمن الاستفادة من رأى الجميع لصالح الحركة الإسلامية ، وكلنا يعرف أن الحاجة وإقامة الأدلة لها طرق ومسارات تصل بمتبعها إلى الحق وتكشف وجه المسألة من أقرب طريق .. فإذا تجاوز الحوار هذا الحد خرج إلى تفرعات لا تنضبط بقواعد محكمة ، ولا تستند إلى أدلة واضحة في الاستدلال فيدور الحوار في حلقة مفرغة ويتمزق الموضوع .

٣ - السماع الكامل ..

فلا بد من الإصغاء الكامل لطرف الحوار وإلى كل رأى يطرح وعدم مقاطعة صاحبه ، وهذا هو الذى يحقق تدبير القول والرأى ، لأن (التدبير من (الدبر) أى الآخر وهذا يعنى أن التدبير لا يتحقق إلا بسماع الكلام إلى آخره ، هذا رسول الله ﷺ يتحدث إليه عقبه بن معيط فلا يقاطعه الرسول ﷺ حتى ينتهى ثم يقول له « انتهيت » قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ (فاسمع منى) .

ولا شك أن السماع الكامل يعطى محاورك إحساساً بأنك تنصت إليه ، وتهتم بكل كلمة يقولها ، وتحترم حقه فى التعبير عن وجهة

(١) رواه أبو داود فى سننه (٤٨٠٠) بإسناد حسن كما قال العلامة الألبانى فى الصحيحة (٢٧٣) وصحيح الجامع (١٤٧٧) .

نظرة ، وهذا بدوره يشعره بارتياح يخفف توتر الأعصاب الذي يصاحب -
عادة - حالة الحوار .. كما أن السماع الكامل يعطى المحاور إحساساً
بجدية المحاوره فيحرص على الخروج من الحوار بفائدة علمية تؤثر كثيراً
فى أى عمل يمكن أن يقوم بين المتحاورين !! .

٤ - رحمانية الحوار ..

فلا بد من الحرص على رحمانية الحوار ، والبعد عن الانفعالية ،
وليكن الحوار « جلسة تغافر » وليس « جلسة تعاتب » وليكن لسان حال
المتحاورين قائلاً :

من اليوم تعارفنا ونطوى ما جرى منا

فلا كان ولا صار ولا قاتم ولا قلنا ..

« وأخيراً .. ندعو كل إخواننا إلى العمل على تكامل فضائل
الحركة الإسلامية وتعاونها فى هذا الإطار الذى نحسبه صواباً ، ولا ندعى
له الكمال ، وإنما هى محاولة وخطوة على الطريق يعوزها التواصل
المستمر .. نقصد منها إلى إزالة السدود النفسية بين الدعاة إلى الله وتحطيم
الأسوار الحزبية التى قد تحمى غير الأكفاء وتحرم العمل من إمكانات
وطاقات كبيرة ، ولتصبح فضائل الحركة الإسلامية حواس متعددة للعقل
الإسلامى الواحد ، وأجهزة متعددة لوظائف الجسم الإسلامى الذى يشد
بعضه بعضاً ، ولنسير جميعاً إلى أهدافنا مسيرة مؤتلفة متحدة تحت راية
السنة والجماعة » (١) .

(١) نحو وحدة العمل الإسلامى ، محمد محمد بديرى (ص ١٧ - ٢٢) .

٥ - إعطاء كل ذى حق حقه ..

«والأصل فى هذه القاعدة هو قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ﴾ (المائدة : ٨) .

وقول الله عز وجل : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (هود : ٨٥) ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ (الأنعام : ١٥٢) .

فهذا أمر من الله تعالى بالعدل مع الآخرين فى الأقوال والأفعال حتى وإن كان بيننا وبينهم عداوة ^(٢) .

ومما يؤسف أن هناك من الناس من إذا رأى من أخيه بعض الأخطاء نظر إليه وهو يقول - بلسان حاله أو بلسان قاله - : « ما رأيت منك خيراً قط » !! وهذا من باب كفران العشير ! وظلم الآخرين وصفات أهل البدع .

« يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - والكلام فى الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع ^(٣) ومن المعلوم أن الخطأ لا يسلم منه أحد فقد ثبت أن النبي

(١) « منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم على الآخرين » هشام الصينى (ص ٢٣) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (١٠ / ٩٥) تحقيق أحمد شاكر .

(٣) « منهج السنة النبوية » (٤ / ٢٢٧) نقلاً عن « منهج أهل السنة والجماعة .. » هشام الصينى (ص ٢٣) .

ﷺ قال : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » (١) فلا ينبغي أن تدفن محاسن المرء لخطأ كما أن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث (٢) . ومن خلال النصوص السابقة نعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره - إن إحتاج إلى ذلك شرعاً - إلا :

(١) بعلم

(٢) وعدل وإنصاف .

فمن تكلم في غيره بظلم وجور ، فهو مخالف للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح مخالف لقوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستورا ﴾ (الإسراء : ٣٦) .

ومن تكلم في غيره بظلم وجور ، فقد خالف قوله تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (المائدة : ٨) .

والكلام في الآخرين بدون علم ، أو بظلم وهوى سبب لكثير من التفرق للقلوب وحدث الشحناء والحسد والتباغض ، بل سبب الفشل وذهاب وحدة الصف وقوته (٣) .

(١) أخرجه أحمد (١٩٨ / ٣) والترمذي (٦٥٩ / ٤) وابن ماجه (١٤٢٠ / ٢) وانظر صحيح الجامع برقم (٣٥١٥) .

(٢) هو لفظ حديث أخرجه الدارمي (٧٣٧ - ٧٣٨) والذراقلني (١ / ٢١ - ٢٢) وغيرهما وقد أفاض ابن القيم رحمه الله تعالى - في دراسته في تعليقه على سنن أبي داود ، انظر « عون المعبود » (١ / ١٠٦ - ١٢٥) وانظر لإرواء العليل (١ / ٦٠) .

(٣) « منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين » (ص ٢٥) .

عوامل مساعدة على وحدة الصف

هذه بعض العوامل التي تساعد على وحدة الصف الإسلامى وبناء الأمة المسلمة .

وهى تحتاج إلى تضافر جهود المخلصين وتوافر همهم حتى يعملوا على تحقيقها وإيجادها فى عالم الواقع .

وأول هذه العوامل :

التحذير من نشر الشائعات

فإن المتأمل فى الكتاب والسنة وفى التاريخ بشكل عام يعلم يقيناً ما للشائعات من خطرٍ عظيم ، وأثر بليغ ، فالشائعات تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص ، وكم أقلقَت الإشاعة من أبرياء و حطمت عظماء ، وهدمت وشائج وسببت فى جرائم ، وفككت من علاقات وصدقات وكم هزمت من جيوش وأخرت من سير أقوام ؟ ! لخطرها وجدنا الدول تهتم بها ، والحكام ، يرقبونها معتبرين إياها مقياس مشاعر الشعب نحو النظام صعواداً أو هبوطاً ، ويانين عليها توقعاتهم لأحداث سواء على المستوى المحلى أو الخارجى .

لسنا مبالغين حين نقول إن ما واجهه النبى ﷺ فى حديث الإفك ، هو حدث الأحداث فى تاريخه عليه الصلاة والسلام فلم يُمكِرْ بالمسلمين مكرٌ أشد من تلك الواقعة ، وهى مجرد فرية وإشاعة مختلقة بين الله تعالى كذبها ، لكنها لولا عناية الله كانت قادرة على أن تعصف بالأخضر واليابس ، ولا تبقى على نفس مستقرة مطمئنة ، ولقد مكث مجتمع

المدينة بأكمله شهراً كاملاً وهو يصطلى نار تلك الفرية ، ويتعذب ضميره وتعصره الإشاعة الهوجاء حتى نزل الوحي ليضع حداً لتلك المأساة الفظيعة ، وليكون درساً تربوياً رائعاً لذلك المجتمع ، ولكل مجتمع مسلم إلى قيام الساعة ، وصدق الله : ﴿ لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ﴾ (النور : ١١) وللإشاعة قدرة على تفتيت الصف الواحد والرأى الواحد ، وتوزيعه وبعثته فالتناس أمامها بين مصدق ومكذب ، ومتردد ومتبلبل ، فغداً بها المجتمع الواحد والفئة الواحدة فئات عديدة (١) .

وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع) (٢) وفي رواية : (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع) (٣) .

ويقول الإمام مالك رحمه الله - « اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع » (٤) « وقال ابن حبان في المجروحين (١ / ٩) في هذا الخبر زجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم علم اليقين صحته » (٥) .

* وأثر الشائعات سيء جداً ، وفي تاريخ المسلمين من الشائعات الكثيرة - التي كانت نتائجها سيئة في ظاهرها - قصص كثيرة .

(١) « انظر الإشاعة لأحمد نوفل » (ص ١٢٧ - ١٢٨) بإختصار وتصرف يسير .

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة برقم (٥) .

(٣) انظر صحيح الجامع برقم (٤٤٨٠)

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (٦٦ / ٨) .

(٥) « التحذيرات من الفتنة العاصفات » لعلى الحلبي (ص ١٠) .

• منها الشائعة التي انتشرت أن كفار قريش أسلموا ، وذلك بعد الهجرة الأولى للحبيشة . كان نيتها أن يرجع عدد من المسلمين إلى مكة ، وقيل دخولهم علموا أن الخبر كذب ، فدخل منهم من دخل وعاد من عاد ، فأما الذين دخلوا فأصاب بعضهم من عذاب قريش ما كان هو فأر منه .. فله الأمر سبحانه وتعالى .

• وفي معركة أحد عندما أشاع الكفار أن الرسول ﷺ قتل ، فت ذلك في عضد كثير من المسلمين ، حتى إن بعضهم ألقى السلاح وترك القتال !

* وأدت الشائعات الكاذبة ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى تجمع أخلاط من المنافقين ودهماء الناس وجهلهم وأصبحت لهم شوكة ، وقتل على أترها خليفة المسلمين بعد حصاره فى بيته وقطع الماء عنه ، بل كانت آثار هذه الفتنة ، أن قامت حروب بين الصحابة الكرام ، كمعركة الجمل وصفين ، وخرجت على إثرها الخوارج ، وتزندق الشيعة ، وترتب عليها ظهور المرجئة والقدرية الأولى ، ثم انتشرت البدع بكثرة ، وظهرت فتن وبدع وقلاقل كثيرة ما تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها إلى اليوم .

* والذى ينبغي على المسلم عند سماعه مثل هذه الإشاعات والأخبار :

١ ، أن يقدم حسن الظن بأخيه ، وهو طلب الدليل الباطنى الوجدانى ، وأن ينزل أخيه المسلم بمنزلته ، وهذه هى وحدة الصف الداخلى ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ (١) .

(١) سورة النور آية رقم ١٢ .

٢ « أن يطلب الدليل الخارجى البرهانى : ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ﴾ (١) .

٣ « ألا يتحدث بما سمعه ولا ينشره ، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بمثل هذه الشائعات لماتت فى مهدها ولم تجد من يحييها إلا من المنافقين : ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا .. ﴾ (٢) .

٤ « أن يرد الأمر إلى أولى الأمر ، ولا يشيعه بين الناس أبداً ، وهذه قاعدة عامة فى كل الأخبار المهمة ، والتي لها أثرها الواقعى ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردهو إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾ (النساء : ٨٣) .

* والشائعات إذا حوصرت بهذه الأمور الأربعة فإنه يمكن أن تتفادى آثارها السيئة المترتبة عليها ، ولكن ليس الإشكال فى هذا بل الإشكال أن هناك فريق من المؤمنين يرضون أن يستمعوا لمثل هذه الإشاعات ، وهذا فضلاً عن فريق من أصحاب القلوب المريضة التى تحب البحث ونشر مثل هذه الأمور ، وقد بين الله ذلك بقوله تعالى : ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ (التوبة : ٤٧) أى المنافقون المغرضون وهذا هو الداء الكبير ، وهو أن يرضى فريق من الناس الاستماع إلى مثل هذه الشائعات ، وإلى كلام المنافقين والمغرضين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى : - « فأخبر أن المنافقين لو خرجوا فى جيش المسلمين ما زادوهم إلا خيالا ، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين ، يطلبون لهم الفتنة وفى المؤمنين من يقبل منهم

(١) سورة النور من الآية رقم ١٣ .

(٢) سورة النور الآية رقم ١٦ .

ويستجيب لهم : (١) إما لظن مخطيء ، (٢) أو لنوع من الهوى ، (٣) أو لمجموعهما .^(١)

ولذلك فالنقطة الخامسة :

« ٥٥ » عدم سماع ما يقوله الكذابين ، والمنافقون ، والمغتايون ، وأصحاب القلوب المريضة ، وعدم الرضا بذلك ، كما هو منهج السلف رضوان الله عليهم .

« والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء ، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها ، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصين الذنوب ظلموا منكم خاصة ﴾ (الأنفال : ٢٥) وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله » .^(٢)

وفي هذا العصر نجد للشائعات دور كبير ، بل واستغلت ضد المسلمين استغلالاً كبيراً ، ومثل هذه الشائعات تحدث في الصف ثغرات تُخل به ، وأحياناً تكون ثغرات كبيرة يصعب سدها !!

وخاصة إذا كانت الشائعات مصدرها من داخل الصف ، من أناس جهلة أو لهم هوى خفي ، أو ظن مخطيء .

* وأما أعداء الإسلام فهم يستخدمون الشائعات ضد المسلمين

(١) انظر « تعارض العقل والنقل » ، (٢ / ١٠٥) .

(٢) انظر « منهاج السنة النبوية » ، (٤ / ٣٤٣) .

وخاصة علمائهم وقادتهم ودعاتهم ، وغالبًا ما يستخدمون في شائعاتهم طريقين

(١) إنشاء وتلفيق الأكاذيب والانتهاكات وإصاقها بالعلماء والدعاة لزعة الثقة بهم ، والانصراف عنهم ، فكم من العلماء والدعاة قيل فيهم أنهم عملاء ، وأصحاب مناصب ودنيا ؟ !!

(٢) تصيد الأخطاء العلمية والعملية ونشرها بين الناس وإعطاءها حجماً كبيراً فيزيدون شائعات مكذوبة على أمرٍ صغير ، كالشيطان الذي يلقي على لسان الكاهن كلمة صحيحة وتسمعاً وتسمين كذبة ؟ !

ثانياً ، النظر في حال الجارح

والأصل في هذه القاعدة هو قول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ (الحجرات : ٦) .

فإن الله عز وجل بين أن الثبوت في خبر الفاسق واجب ، فأول شيء قبل الثبوت من الخير ، هو النظر في حال صاحبه ، هل هو عدل أم فاسق ؟

ولذلك ينبغي النظر في حال الجارح فقد يكون بينه وبين المجرور عداوة ، أو حسد وبغضاء ، أو تنافس مذموم ، أو هو من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض أو يكون الجارح - أصلاً - غير مرضى في دينه وأمانته ألخ

قال السخاوى : « رأى ابن عبد البر أن أهل العلم لا يقبل فيهم

الجرح إلا ببيان واضح فاذا انضم إلى ذلك عداوة فهو أولى بعدم القبول ، (١) .

ويقول السبكي : « بل الصواب عندنا أن من ثبت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكّوه ونذر جارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره ، فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا لو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعتون ، وهلك فيه هالكون » (٢) .

ثالثاً ، التثبت من الأخبار

وهذه القاعدة أصل عظيم في تلقي الأخبار والرواية والعمل بها والأصل فيها هو قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتيئوا أن تصيروا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات : ٦) .

يقول الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى - : (وقد دلت هذه الآية من سورة الحجرات على أمرين :

الأول منهما : أن الفاسق إن جاء نبأً يمكن معرفة حقيقته ، وهل ما قاله فيه الفاسق حق أو كذب ؟ ، فإنه يجب فيه التثبت .

(١) انظر فتح المنبئ ، (٣ / ٣٢٨)

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى ، (٢ / ٩١) .

والثاني : هو ما استدل عليه أهل الأصول من قبول خبير العدل ، لأن قوله تعالى « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » يدل بدليل خطابه ، أعنى مفهوم مخالفته أن الجائى نبأً إن كان غير فاسق بل عدلاً لا يلزم التبين فى نبئه على قراءة : فتبينوا ، ولا على الثبوت على قراءة : فتثبتوا وهو كذلك ، (١) .

* وينبغى هنا التبيه إلى أمر مهم ، وهو ما قام به علماء الرجال فى نقدهم فى التفريق بين الضابط وغير الضابط والحافظ وغير الحافظ .

وليس المقام مقام عن منهج علماء الرجال فى الجرح والتعديل ، بقدر ما هو بيان للمنهج السليم فى تلقى الأخبار عامة وفى كل الأمور ، سواء كانت فى رواية الأحاديث أو فى نقل الفتاوى عن العلماء ، أو فى نقل كلام أشخاص آخرين .. ألخ فإنه يجب التفريق بين الراوى للخبر إذا كان جيد الحفظ أو سىء الحفظ وإذا كان جيد الفهم أو ردىء الفهم ، أو جيد التعبير أو رديئه ، فضلاً عن الثبوت فى صدقه وأمانته .

فإن الخبر إذا جاء به إنسان سىء الحفظ أو سىء الفهم أو ردىء التعبير عن الكلام فهذا لا بد من الثبوت من خبره ، لأن الغالب عليه أنه ينقص من الخبر ما يكون فيه تقييد لما أطلق أو تفسير لما أجمل وما شابه ذلك ، أو تعبير عنه بفهمه السقيم فيجعل الأمر عكس مراد المتكلم ، ويذكر عنه كلاماً لم يقله ولم يرده المتكلم ، أو ينقص منه ما هو مهم فى الحقيقة ، غير مهم فى نظر الناقل السىء الفهم ، أو يعبر عما فهمه بتعبير خاطىء يفهم منه المستمع خلاف مراد المتكلم ، وقد تجتمع كل هذه

(١) انظر « أضواء البيان » (٧ / ٦٢٧) .

الأمر في شخص واحد فتكون الطامة في نقله للأخبار .

ومن كانت فيه إحدى هذه الصفات أو قريب منها ، فضلاً عن جميعها فمثله لابد من الثبوت من أخباره - إن كانت مهمة - أو الإعراض عنها بالكلية ، إن لم يكن لها أهمية .

* وفي هذا العصر كثيراً ما ينقل أناس فتاوى عن علماء خلاف ما أفتى به العالم ، وما ذلك إلا بسبب سوء حفظهم وسوء فهمهم . وأحياناً يُضاف إليها سوء تعبيرهم ، والواقع أكبر شاهد !!

* وكذلك كثيراً ما تتناقل أخبار عن شخص أو هيئات لا أساس لها من الصحة وما ذلك إلا بسبب من الأسباب الآنفة الذكر ، هذا إذا حملنا المتكلم على الصدق والبراءة من تهمة الكذب .

يقول الحسن البصرى - رحمه الله تعالى : ﴿ المؤمن وقاف حتى يتبين ﴾^(١) .

فالضابط في هذه المسألة : أن من عرف عنه الصدق والدين ، وجودة الحفظ والفهم وحسن التعبير والأداء ، فإننا نقبل خبره دون تثبت ، ومن اختلت فيه صفة من هذه الصفات ، أو ما شابهها - مثل كلام الأقران بعضهم في بعض - فإنه يحتاج إلى الثبوت في خبره ، وخاصة إن كان الخير يترتب عليه أموراً مهمة .

وقد قيل « وما آفة الأخبار إلا روايتها ؟ » .

(١) إظرف الفتاوى : (١ / ٣٨٢) .

وفى نقل الأخبار ، سواء كانت فتاوى عن علماء ، أو كلام صادر من أشخاص أو هيئات ، فالأصل فيه نقل الكلام بنصه كاملاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً تجنباً للوقوع فى بعض الآفات المذكورة آنفاً ، وفى الحديث إشارة إلى هذا المعنى فى قوله ﷺ (نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ..) (١) .

ففى قوله ﷺ (فحفظها ووعاها) إشارة إلى أداء الكلام بنصه وفى قوله ﷺ « فرب حامل فقه لا فقه له » إشارة إلى صاحب الفهم الضعيف وفى قوله ﷺ (ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) إشارة إلى تفاوت الأفهام وأن سامع الخير قد يستبسط مما سمع ما لم يستبسطه الراوى . وهذا الحديث من جوامع الكلام الذى أوتيهِ الرسول ﷺ .

رابعاً ، رد الغيبة على الغتاب

ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : (من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعقبه من النار) (٢) .

ومن سمع الغيبة ورضى فهو مشارك فى الإثم للقاتل ، كما أن راد الغيبة عن عرض أخيه له أجر عظيم « كان حقاً على الله أن يعقبه من النار » .

وكان السلف عليهم رضوان الله يعملون على رد الغيبة على المتكلم .

(١) اظره « مسند أحمد » (٨٢ / ٤) وصحيح الترغيب والترهيب (٨٧) .

(٢) أخرجه أحمد (٤٦١ / ٦) وانظره « صحيح الجامع » برقم (٦٢٤٠) .

قال سفيان بن الحصين : ه كنت جالساً عند إياس بن معاوية ،
فمرّ رجل فنلت منه فقال : اسكت . ثم قال لي سفيان : هل غزوت
الروم ؟ قلت لا . قال هل غزوت الترك ؟ قلت : لا قال . سلم منك
الروم وسلم منك الترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ ! قال فما عدت
إلى ذلك بعد ه (١) .

وذكر عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى - ه أنه أضاف
إناساً ، فلما قعدوا على الطعام ، جعلوا يتناولون رجلاً . فقال إبراهيم : إن
الذين كانوا قبلنا ، كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم بدأتم باللحم قبل
الخبز ه (٢) .

* ولذلك ينبغي لكل مسلم غير على دينه ألا يرضى أن
يُغتاب بحضرته أحد من الناس ، لأنه إن رضى فقد شاركهم في الإثم
، وإن لم يستطع أن يردم عن معصيتهم فلا ينبغي له أن يبقى معهم في
المجلس ، بل يخرج منه .

* كما ينبغي أن يحذر من الوقوع في الغيبة بحجة تقويم
الرجال ومصلحة الدعوة ؟ !

فإن هذا متزلق وقع فيه كثير من الناس ، يظنون أن ما يقومون به من
غيبة إخوانهم هو من باب المصلحة والنصيحة وفي الحقيقة تكون دوافعهم
أخرى خفية لم ينتبهوا إليها (٣) .

(١) انظر ه تنبيه الناقلين ، (١ / ١٧٨)

(٢) انظر ه تنبيه الناقلين ، (١ / ١٧٦)

(٣) وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية بكلام مهم ونفيس عن بعض الدوافع الظاهرة والخبية
للفتية ، انظر ه مجموع الفتاوى ، (٢٨ / ٢٣٦ - ٢٣٨) .

خامساً ، كلام الأقران لا يقبل ويطوى ولا يروى

كلام الأقران يُطوى ولا يُروى ، وهى قاعدة قررها جمهور السلف رضوان الله عليهم . يقول ابن عباس رضى الله عنه : « خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض ، فإنهم يتغايبون تغاير التيوس فى الزبية » (١) .

وقال مالك بن دينار : « يؤخذ بقول العلماء والقراء فى كل شىء ، إلا قول بعضهم فى بعض - فإنهم أشد تحاسداً من التيوس تنصب ، لهم الشاه الضارب ، فينب هذا من ههنا وهذا من ههنا » (٢) .

ويقول الذهبى - رحمة الله تعالى - : « كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يعأ به ، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، وما ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصراً من العصور سلم منه أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس » (٣) .

ويقول ابن عبد البر : « إن السلف رضوان الله عليهم وقد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ، ومنه ما حمل عليه الحسد ، وكما قال ابن عباس ، ومالك بن دينار وأبو حازم ، ومنه على

(١) انظر « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ١٨٥) .

(٢) المصدر السابق (٢ / ١٨٥ - ١٨٦) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢ / ٩٠) .

(٣) انظر « ميزان الاعتدال » (١ / ١١) .

جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله فيه ، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً ، فلا يلزم تقليدهم فى شىء منه دون برهان ولا حجة توجهه (١) .

وكلام الأقران بعضهم فى بعض الحامل عليه الحسد والتنافس فى المذموم ، سواء كان هذا التنافس فى أمور الدنيا كالتجارة والمناصب العالمية ، أو فى أمور الآخرة كطلاب العلم والعلماء والدعاة وقلما يسلم منه أحد .

* والقاعدة فى هذا الأمر : أنه إذا بلغ المسلم قدحاً فى إخوانه وبان له أنه من قبيل كلام الأقران . فإنه يجب عليه أن يرده ولا يلتفت إليه .

وهذا المنهج هو الذى سار عليه السلف الصالح ، نبهوا عليه كابن عباس رضى الله عنه . ومالك بن دينار وابن عبد البر والذهبي وأمثالهم من أئمة السلف .

ومن أبرز من اتضح هذا المنهج فى كتبه ، الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - حيث أورد عدداً من كلام الأقران بعضهم فى بعض ثم تعقبه بتعليقات جياذ .

يقول - رحمه الله تعالى - قيل : كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يروى (٢) .

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله ، (٢ / ١٨٦ - ١٨٧) .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، (١٠ / ٩٢) .

ومن الأمثلة على كلام الأقران :

(١) قال الذهبي في ترجمة رجاء بن حيوة : « قال مكحول : ما زلت مضطرباً على من ناوأني حتى عاونهم على رجاء بن حيوة ، وذلك أنه كان سيد أهل الشام في أنفسهم قلت (الذهبي) : كان ما بينهما فاسداً ، وما زال الأقران يتال بعضهم من بعض ، ومكحول ورجاء إمامان ، فلا يلتفت إلى قول أحد منهما في الآخر ، السير (٤ / ٥٨٨) .

(٢) وقال أيضاً : « وأما كلام النسائي فيه - يعنى أحمد بن صالح - فكلام موتور ، لأنه أذى النسائي وطرده من مجلسه فقال فيه : ليس بثقة ، السير (١ / ٨٣) .

وقال في موضع آخر : « وكان سبب تضعيف النسائي له ، أن أحمد بن صالح كان لا يحدث أحداً حتى يشهد عنده رجلان من المسلمين أنه من أهل الخير والعدالة ، فكان لا يحدثه ويذلل له علمه ، وكان يذهب مذهب زائدة بن قوامة ، فأتى النسائي يسمع منه فدخل بلا إذن ، ولم يأت به برجلين يشهدان له بالعدالة ، فلما رآه في مجلسه أنكره وأمر بإخراجه ، فضعفه النسائي لهذا ، السير (١٢ / ١٦٧ / ١٦٨) .

(٣) وقال الحسن بن محمد بن صابر : « سمعت محمد بن يحيى - الذهلي - يقول : قيل لنا - لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه ، فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على السماع منه ، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه ، السير (١٢ / ٣٥٤) و تاريخ بغداد (٢ / ٣٠) .

وقال الذهبي عما حدث بين الذهلي والبخاري : « وما زال الكلام لكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده » السير (١٢ / ٢٨٥) .

وقال السبكي : « ولا يرتاب المنصف أن محمد بن يحيى الذهلي لحفته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة » انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٢ / ٢٣٠) .

ومن عدل الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - الذي يشاد بذكوره ، ويحفظ له أنه على ما كان من الذهلي ، إلا أنه لم يتكلم فيه ولم يجرحه بشيء ، بل أخرج له في صحيحه وهذا خلق كريم لا يقوم به إلا النبلاء ، والله يغفر لنا ولهم .

(٤) قال الذهبي في ترجمة مطين : « وكان متقناً ، وقد تكلم فيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة وتكلم هو في ابن عثمان ، فلا يعتد غالباً بكلام الأقران لاسيما إذا كان بينهما مناقسة ، فقد عدد ابن عثمان لمطين نحواً من ثلاثة أوهام فكان ماذا ؟ ! ومطين أوثق الرجلين ويكفي تزكية مثل الدراقطني له » السير (١٤ / ٤٢) .

(٥) وقال في ترجمة ابن منده : قلت « لا يعبأ بقولك - يقصد أبا نعيم - في خصمك للعداوة السائرة ، كما لا نسمع أيضاً قوله فيك ، فلقد رأيت لابن منده خطأ مقدعاً على أبي نعيم وتبديعاً ، ولا أحب ذكره وكل منهما فصدوق في نفسه غير متهم في نقله بحمد الله » السير (١٧ / ٣٤) .

وما ذكرت من الأمثلة إلا ليعلم القارىء أن كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يكاد يسلم منه إلا القليل ، ولذلك ينبغى على المسلم إذا بلغه كلام من كلام الأقران أن ينظر فيه ، فإذا تحقق أن الحامل عليه حسد ومنافسة ولا تدعمه الحجة أو لا فائدة فى الكلام أصلاً فعليه :

(١) يرده ولا يقبله .

(٢) أن يطويه ولا يرويه ، لتصفو النفوس ولا تحدث العداوة والبغضاء والتفرق . والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلون معك ، فالأمر فى ذلك إلى الله لا لهم فإنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا ذمتمهم على ما لم يقدر كان من ضعف يقينك ، فلا تخفهم ولا ترجمهم ، ولا تدمهم من جهة نفسك وهواك ، ولكن من حمده الله ورسوله فهو المحمود ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم « (١) .

ولأبى حازم كلمة جميلة جداً ، يقول ابن عينة : سمعت أبا حازم يقول (لا تعادين رجلاً ولا تناصبه العداة ، حتى تنظر إلى سريرته بينه وبين الله ، فإن لم يكن له سريرة حسنة ، فإن الله لم يكن ليخذه بعداوتك وإن كانت له سريرة رديئة فقد كفأك مساوئه ، ولو أردت أن تعمل به أكثر من معاصى الله لم تقدر « (٢) .

(١) انظر « الفتاوى » (١ / ٥١ - ٥٢)

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٦ / ٩٨) . نقلاً عن « منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم على الآخرين » هشام الصينى (٤٧ - ٦٤) باختصار يسير .

معنى لقاء الحركات الإسلامية وأهميته

لا نقصد بلقاء الحركات الإسلامية أن تذوب كلها في هيكل تنظيمي واحد . فالحركات الإسلامية اليوم تمثل واقعاً قائماً . إنها تمثل واقعاً جاء نتيجة لتاريخ طويل في حياة الأمة المسلمة ، جاء استجابة لأحداث وقعت ولمشكلات برزت ، ولأخطاء أحاطت .

فالذي نقصده إذن من لقاء الحركات الإسلامية هو قيام أسس ثابتة تلتزم بها جميع الحركات ، لتكون قاعدة منطقتها ونهجها وأهدافها . ولتعين هذه الأسس على جمع جهود العاملين ، حتى تصب كلها في مجرى خير واحد . ولتساهم كذلك في إذابة أسباب الفرقة والتمزق ، وفي معالجة أهم المشكلات والأخطار القائمة في واقعنا اليوم .

بعد ذلك يصبح التنافس بين الحركات الإسلامية هو ميدان السباق إلى الجنة على درب جلي في ميدان إبداع النهج والخطة ، وتطوير الأساليب وتنميتها ، في نور الإيمان والتوحيد على أساس من مناهج الله ، حيث تساهم مواهب الأمة كلها في الميدان ، دون أن تموت هذه المواهب المؤمنة في تنافس ممزق وحسد قتال ، فتبدع مواهب الإيمان والصدق عندئذ عطاءً وبذلاً وجهاداً ، فينظر الله في عباده المؤمنين ، فيرى الصدق في القلوب ، والنور في الأنحاء ، والجود في البذل والعطاء ، والزهد في الشحناء والعداء ، فينزل رحمته وينجز وعده ويشرق النصر من عنده .

أمام الجميع ، جميع الحركات الإسلامية ، جميع المسلمين ، أمام كل فرد مسلم صادق هدف عظيم في الدنيا ، هدف بناء الأمة المسلمة الواحدة ، هدف الوحدة الإسلامية .

فالوحدة الإسلامية التي نقصدها ، ليست مجرد وحدة شكلية
سياسية تتصارع فيها المذاهب والتيارات . كلا !

إننا نقصد بالوحدة الإسلامية أمراً ربانياً ، أمراً من الدين ، تكليفاً من
الله سبحانه وتعالى .

فلا بد إذن من أن تحمل خصائصها الربانية ونهجها الرباني .

إن هذه الوحدة التي نقصدها بناء الأمة المسلمة الواحدة التي أمر الله
بقيامها ، الأمة التي تحمل رسالة الله إلى الناس بعد النبوة الخاتمة ، الأمة
التي تنهض لتوفى بحق الأمانة التي حملتها ، وواجب الخلافة التي جعلت
لها في الأرض ، في عبادة صادقة لله ، تمضي بها لتقيم حضارة الإيمان
وعماره التوحيد . أمة ولاؤها لله وحده ، وعبوديتها لله وحده ، في سعي
يصدق رؤية ، وجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، ليكون جنودها وأبنائها شهداء
على الناس حقاً ، شهداء على الناس كلهم في جميع العصور والأجيال :

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجباكم وما جعل عليكم في
الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم
النصير ﴾ (الحج : ٧٨) .

هذه الوحدة التي نهدف إليها تدور كلها حول محور أساسي واحد :
(واعتصموا بالله ...) بكل معاني الاعتصام وآفاقه ، حتى يكونوا شهداء
على الناس .

ويقول بن عطية في تفسيره : « وأسند الطبرى إلى قتادة أنه قال :
أُعْطِيتْ هذه الأمة ما لم يعطه إلا نبيٌّ : كان يقال للنبي أنت شهيد على
أمتك وقيل لهذه الأمة : (وتكونوا شهداء على الناس ...) (١) » .

هذه الأمة هي دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناصكنا
وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (البقرة : ١٢٨) .

هذه الأمة المسلمة هي أعرق أمة في الأرض . إنها ضاربة بجذورها
مع كل الأنبياء والمرسلين ، ممتدة في التاريخ حتى تقوم الساعة ، تحمل
أشرف رسالة ، وتمضى إلى أعظم هدف إلى الجنة . يصفها ربها في
سورتي الأنبياء والمؤمنون فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون : ٥٢) .

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، وكان في المدينة
المهاجرون والأنصار واليهود ، وكان فيها قبائل شتى من هؤلاء وهؤلاء ،
كتب كتابه المعروف بحدِّ المؤمنين ويعرفهم ، وينظّم العلاقات والحقوق
والواجبات . ومن هذا الكتاب الهام نأخذ بعض القيسات من كلمات
النبوّة (٢) ، لنعلم بعض الخصائص الأساسية التي لا غناء عنها في حياة

(١) تفسير ابن عطية (١٠ / ٣٢٧) . تفسير الطبرى (١٧ / ٢٠٨) .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية - د محمد حميد الله . دار الإرشاد - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩
بيروت - لبنان (ص : ٤١) .

المؤمنين العاملين ، ولا فى بناء الأمة الواحدة ولا فى لقاء الحركات الإسلامية :

١ - أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٢ - وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة ظلم ، أو إثمًا ، أو عدوانًا ، أو فسادًا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم .

٣ - وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

٤ - وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

٥ - وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

٦ - وأنه لا يحل للمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٧ - وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ .

نصوص واضحة ترسم خصائص الأمة المسلمة الواحدة الأمة التى أمر الله بها ورسوله .

نصوص فاصلة حاسمة تجمع المؤمنين صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص ، وتميزهم عن غيرهم من أهل الأرض ، بما يحملون من عهد وأمانة ، وعدل ووفاء ، ونهج وصلاح ، يصلحون فى الأرض ولا

يفسدون ، وهم أقوياء أعزّاء ، خير للناس كلهم بصدقهم مع الله ،
وولائهم لله ، وعهدهم مع الله .

فأى أمة فى الأرض أشرف وأجل ؟ ! وأى اتساب أكرم وأعز :

فحيثما كان ذكر الله عدتُ إلى : حبلى من الله موصولٍ ومتعقدٍ

أنا إنتسابى إلى الإسلام كلُّ هوى : قاضٍ ويقى هوى دينى ومعتدى

هذه هى الأمة ، وهذه هى الوحدة التى تعنيها ! ومن هنا يبرز أحد

أوجه أهمية لقاء المؤمنين الصادقين العاملين على المعنى الذى عرضناه ،
والغاية التى حددناها .

إن الفرقة بين القوى الإسلامية تدمير لطاقت مؤمنة كثيرة ، وتعطيل

لمسيرة بناء الأمة الواحدة ، وشقاق يفتح منافذ للأعداء يتسللون منها .

وإن لقاء العاملين المؤمنين على الصورة التى عرضناها ، يجمع

الجهود والمواهب فى سباق كريم ، وتنافس كريم ، إلى بناء الأمة المسلمة
الواحدة ، فى أمة عظيمة تسعى إلى هدف عظيم :

﴿ ... وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (المطففين : ٢٦) .

إنها النية الخالصة لله ، المبرأة من الهوى والشهوات النقية من أوشاب

الجاهلية وأوحال الدنيا ، النية التى تجمع المؤمنين فى لقاء المؤمنين ، النية
التي تمهد الدرب وتوفر الفرصة والأسباب وتجمع العزيمة والإرادة .

كثير من الناس يعلق أمر لقاء المؤمنين الصادقين العاملين على ظهور

الرجل الواحد القمء القائد الملهم ، حتى يلتفت الجميع حوله . فالؤمنون

الصادقون العاملون لا ينتظرون أحداً حتى يلتفوا .

إن إيمانهم وصدقهم وبذلهم ، تكوّن كلها عناصر كافية للقائهم .
ليس من الحكمة تعطيل لقاء المؤمنين العاملين حتى يظهر الرجل الملهم
الغدّ ، فلقاء المؤمنين فى الأرض هو من مسؤوليتنا ، من مسؤوليات الإنسان
 . أما ظهور الرجل الملهم فليس أمراً نقرره نحن ، إنه من قدر الله . فلا يحل
إذن التهاون والاسترخاء حتى يظهر الرجل الغدّ .

ولقاء الطاقات الإسلامية لا تحقّقه المجاملات والمظاهر السطحية التي
تجاهل حقيقة الداء . فالسعى إلى لقاء العمل الإسلامى واجب شرعى
لا يجوز أن يتعطل وإذا كان هذا اللقاء هو ضرورة شرعية يأمر بها الله
سبحانه وتعالى فإننا نؤكد كذلك بأن الله سبحانه وتعالى قد وضع للمؤمن
أسسَ لقاءهم وحددَ قواعد التعاون ، حتى لا يكون هذا الأمر عرضة
للتمزق فى صراع الأهواء والاجتهادات الفردية المتفلّته .

إذن علينا أن نبحث فى منهاج الله قرآناً وسنةً ، عن أسس لقاء
المؤمنين ، هناك إذن نبحث لا فى أمواج أهواننا وأعاصير شهواتنا . هناك
إذن نبحث فى منهاج الله عن أسس اللقاء ، فنجمعها ثم نطرحها بين
أيدي الناس منهجاً عملياً يتلى به المؤمنون ، ليرى مدى التزام الدعاة بأمر
الله ، ومدى تخليهم عن العصبية الجاهلة ، والأهواء الفردية ، ومدى
جدية العاملين فى بناء الأمة المسلمة الواحدة . وبذلك نرى حقيقة الميزان
الذى يزن الصحوة الإسلامية وجدّيتها وأمانتها .

الأساس أن يكون فى الأرض دعوة إسلامية واحدة ممتدة مع الزمن
كله هى امتداد دعوة محمد ﷺ ، هى امتداد دعوة الله فى الأرض ،

وبلاغ الأنبياء للناس . إن الله سبحانه وتعالى أمر أن تَمْضَى الدعوة الإسلامية في الأرض لا يعطلها شيء ، حتى لو كان ذلك وفاة النبي محمد ﷺ وانتقاله إلى جوار ربه :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤) إنها دعوة لله واحدة لا تتجزأ ، ودين لله واحد هو دين الإسلام ، ورب واحد للكون لا إله إلا هو رب العرش العظيم . ويظل الارتباط النفسى والفكرى والإيمانى بهذه الدعوة الواحدة الممتدة ، بهذه الجذور العميقة في تاريخ الإنسان ، الجذور الضاربة في الأرض والزمن أمانة من أمارات الصحة .

فإذا قامت حركات إسلامية ، أو تجمعات إسلامية ، يفرضها الواقع في مرحلة من مراحل التاريخ ابتلاءً منه سبحانه وتعالى وتمحيصاً للمؤمنين ، فلا بد أن يكون جوهر الممارسة الإيمانية في أى حركة أو تجمع يمثل حقيقة الارتباط بهذه الدعوة الربانية الواحدة الممتدة من هذا الارتباط النفسى والفكرى يتولد العنصر المهيء للقاء المؤمنين ، للقاء الحركات الإسلامية .

وقد يحمل كل تجمع اسماً أو شعاراً يعرف به بين الناس ، فنظل هذه الأسماء والرموز تمثل جهداً بشرياً يعبر عن ناحية من نواحي الدعوة ، أو معنى محدوداً من معانيها ، أو ميداناً محطوفاً من ميادينها .

فلا يجوز أن يتحوّل إلى عصبية جاهلية يعلو بها فوق الولاء لله . ولكن يظل الولاء لله هو الولاء الأعلى والأسمى ، ومنه ينبثق أى ولاء

آخر في حياة المؤمنين ويرتبط به . فإذا لم يتحقق هذا الارتباط فإن الولاء المتفلسف من الولاء لله يصبح عصبية جاهلية مفرقة للناس ممزقة للجهود .

يجب أن يظل الولاء لأي تجمع إسلامي ولاءً يحمل قدره الشرعي وصدقه الإيماني بمقدار ما تحمل الحركة نفسها من ارتباط إيماني تطبيقي مع دعوة الله الجامعة ، عن طريق مناهج تفصيلية تبين هذا الارتباط ، وممارسات عملية تكشف صفاء الارتباط لتقدم المناهج التفصيلية والممارسات الإيمانية الحجة والبرهان على أمانة الارتباط وعدالة الولاء .

ويصدق الأمر نفسه على العهود ، حين يصبح كل عهد يقيمه المؤمن في حياته عهداً نابعاً من عهده مع الله ، مرتبطاً به .

وعلى هذه الأسس يصبح من واجب كل حركة إسلامية أن تضع مناهجها التفصيلية لكل ميادين نشاطها الذي تختص به ، مناهجها التي تثبت سلامة العهد والولاء ، وصدق الارتباط بحقيقة الدعوة الإسلامية الواحدة . فتربط الجهود عندئذ وتتناسق وتتلائم لتصب كلها في مجرى الخير والعطاء .

ويصبح التنافس بين الحركات الإسلامية هو في ميدان السباق إلى طاعة الله ، والسباق إلى تطوير المناهج التفصيلية ، لدفع العمل الإسلامي إلى درب القوة والعزة وبناء الأمة المسلمة الواحدة .

فلقاء الحركات الإسلامية يمثل ميزاناً حقيقياً للصحة الإسلامية ، وعاملاً رئيسياً في سبيل تحقيق الهدف الثابت العظيم ، بناء الأمة المسلمة الواحدة التي تخشع لله ويحكمها منهاج الله ، ويرى الناس فيها أن كلمة الله هي العليا .

وتمتدّ الصحوّة الإسلاميّة في الأرض لتمثّل عمقها الإيماني وعمقها الإنساني لتنتشر العدل والأمن والأمان بين الناس ، والإخاء والمساواة بين المؤمنين ورعاية حقوق خلق الله كلهم ، على شريعة الله .

في واقعنا اليوم ، في الحركات الإسلاميّة ، وجهات نظر وآراء ، دفعها بعض الدعاة لتمثّل رأياً . ولا نظنّ أنّ أحداً يمكن أن يجعل من رأى شخصيّ حيّاً مطلقاً وقاعدة من قواعد الدين والإيمان . ولا نظنّ أنّ أحداً يمكن أن ينزلق لينزل ، وجهة نظره ، على أنها هي وحدها حكم الله ورسوله ، وأنها حكم الإسلام . فلا بدّ إذن من التريث والهدوء حتى تجلّى أحكام الإسلام وحقائقه وقواعده الرّبانيّة أمام الناس ، وحتى تستقرّ في القلوب والأخفاء ، وتسير مع العروق والدماء فلا تختلط الرؤية ! .

إن من يدعو إلى دين قومي ، وإلى رابطة عنصرية ، وإلى تكثّل وطنيّ إقليميّ ، لا يحقّ له أن يعتبر أنّ دعوته هذه هي الإسلام .

لم تعدّ تستطع الحركة الواحدة أن تجابه الواقع القاسي والمؤتمرات الدوليّة وحدها . فلا بد من أن تتناسق الجهود حتى يقف الصفّ المؤمن الواحد أمام الهجمة الشرسة والكثير الماكر . ولم يعد أيّ قطر كذلك يقوى على مجابهة الأحداث وحده .

إنها أمة الإسلام . وأمة الإسلام فقط ، هي التي تستطيع أن تنازل الأعداء وكيدهم . وهي التي أمر الله بقيامها ، وأناط بها المسؤوليات العظام في الأرض ، هي وحدها التي وعدّها الله بالنصر إن آمنت وعملت الصالحات وصدقت ربّها :

➤ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿ (النور : ٥٥) .

جلاء وبيان ، وقطع لكل رية وتردد وحيرة ، ودرب مستقيم إلى الجنة . إن الإيمان ﴿ الذين آمنوا منكم ﴾ والعمل الصالح ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ لا تقدّرهما أهواؤنا ومصالحنا الذاتية وأوهامنا ، إنما يقدرهما منهاج الله قرآناً وسنة تفصيلاً وبيانا ، وحكماً وميزاناً .

وعندما يتحقق الإيمان والعمل الصالح في أمة واحدة هي أمة الإسلام ، وفي صف واحد كالبنیان المرصوص ، على أساس منهاج الله وحكمه وميزانه ، وعندما يتحقق هذا يتنزل نصر الله ، وينهزم أعداء الله ، وينجز الله وعده ، ويهزم الأحزاب وحده .

وقبل ذلك فتن وابتلاء وتمحيص ، على سنن الله ماضيه وقدره غالب^(١) .

البعد الإنساني

للأمة السمة الواحدة

لا تقوم الأمة الإسلامية الواحدة على أساس من هيكل سياسي واحد فحسب ولا على أساس من ارتباط مصالح اقتصادية فقط ، ولا على توحيد مناهج تربوية ، أو على التقاء أعراف وتقاليد ، ولغة وتاريخ ، وإن كانت كل هذه العوامل وكثير غيرها يمكن أن تكون دليلاً على وحدة

(١) نقلًا عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان رضا النجوى (ص ١٠٧ - ١١٤) .

الأمة ، أو مظهرًا من مظاهرها ، أو رمزًا من رموزها ، أو عاملاً مساعداً على بنائها .

فالأمة المسلمة الواحدة تقوم قبل كل شيء على جوهر صاف ، وتلتقى على أسس عميقة في وجودها وكيانها . وتلتقى كلها حول محور واحد ثابت يجمعها .

إن هذا الجوهر والمحور ، وإن تلك الأسس العميقة كلها ، يمكن أن نعبّر عنها بكلمة « الحق » . إنه الحق الذي يقوم عليه الكون كله ، والخير كله . إنه « التوحيد » بامتداد معانيه ومداه إلى جميع آفاق الحياة الدنيا ، إنه التوحيد الذي يربط الحياة الدنيا بالآخرة ، إنه التوحيد الذي شاء الله أن يكون له أمة في الأرض تحمله رسالةً ونهجاً ، وتجاهد في الحياة الدنيا من أجله ، لتشره في الأرض صلاحاً وخيراً ، براً وإحساناً .

هذه الأمة التي شاء الله أن تقوم في الأرض ، لتحمل رسالة الله إلى الناس ، على مدى العصور والدهور ، وهذه الأمة هي أمة الإسلام ، أمة التوحيد ، أمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعلى هذا الأساس تقوم هذه الأمة وهذا هو جوهرها ، وهذا هو محور كيانها ووجودها

﴿ إن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

هذه الأمة التي امتدت مع تاريخ الإنسان كله في الأرض ، لتمثل أشرف انتساب وأعز أمة ، ولتمثل جوهر الخير والصلاح ، وحقيقة الأخوة والحرية ، وأمانة العدالة ، وقوة الأمن ، وبهجة السعادة ، هذه الأمة لم تعد حاجة العرب وحدهم ولا حاجة منطقة الشرق الأوسط ، ولا حاجة أي شعب محدود أو قطر محدود إنها حاجة الإنسان حيثما كان ، حاجة

الشعوب ، كلها والأقطار كلها والعصور كلها إنها الهواء والماء للإنسان ،
وإنها الغذاء لوجوده الصادق كله . إنها السلام الصادق والأمن والأمان
والحرية والعدالة والإخاء ، فى أصفى معانيها ، لمن يريد أن يكون هذا حقاً
قوم الحياة عليه ، لا شعاراً زائفاً وزخرفاً كاذباً تتاجر به الثورات والشهوات
والأهواء والمصالح الدنيوية المادية المتصارعة .

من أجل الإنسان ومسئوليته فى الحياة الدنيا من خلافة وعبادة وأمانة
وعمارة من أجل تحقيق عبوديته لله ، ووفائه بعهده مع الله ، من
أجل ذلك كله يكون قيام الأمة المسلمة الواحدة فى الأرض ضرورة
لاغناء عنها .

وسيظل غياب هذه الأمة عن حياة الإنسان فى الأرض سبباً لفقور
الشهوة والفساد والإجرام فيها .

ولقد بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً ، مبشراً ونذيراً ، خاتم
الأنبياء والمرسلين ، عندما امتد الفساد فى الأرض وظهر . فكان قيام الأمة
الإسلامية أو امتدادها آنذاك ضرورة لصلاح الإنسان وخيره ، ضرورة
حضرية ، إنسانية ، إيمانية .

ويصف القرآن الكريم فترة البعثة النبوية ، وضرورة قيام الأمة
المسلمة ، لتحمل رسالة الله فى الأرض ، بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ظهر
الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا
لعلهم يرجعون . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل كان أكثرهم مشركين . فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن
يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون . من كفر فعليه كفره ومن

عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴿ (الروم : ٤١ - ٤٤) .

لأبد أن نعى هذه الحقيقة وعياً كاملاً ، لنذكر خطورة القضية التي نعرضها : قضية قيام الأمة المسلمة الواحدة في الأرض . ولنذكر كذلك مدى الإفساد الذي يقع في حياتنا وفي حياة الإنسان عامة في الأرض إذا تهاونا في تحقيق هذه القضية ، ولنذكر عظم الجريمة التي يرتكبها الظالمون بحق الإنسان ، وبحق الشعوب كلها ، حين يصدون عن سبيل الله ، وحيث يقاومون مسيرة الحق ويقاومون بناء الأمة المسلمة في الأرض .

ولابد كذلك أن تدرّك الحركات الإسلامية هذه الحقيقة ، لتعلم مدى مسؤوليتها في قضية قيام الأمة المسلمة الواحدة ، ومدى الخطر الذي يتحقق نتيجة الشقاق والتدابير ، والتمزق والشتات ، وضياع الجهود ووهنها .

وإذا كان لقاء الحركات الإسلامية أمراً ضرورياً لبناء الأمة المسلمة الواحدة فإن الضرورة تنشأ ما دامت الحركات الإسلامية صادقة في نهجها زاهدة في شهوات الدنيا ، مقبلة على نعيم الآخرة ، مدركة عظم مسؤوليتها بحق الإنسان . فإله سبحانه وتعالى قادر على أن يضع هذه المسؤولية على أكتاف رجالها الصادقين الثابتين ، إذا تولّى الضعفاء والمناقرن .

﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتفقوا في سبيل الله فمنكم من يخل ومن يخل فإنما يخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (محمد : ٣٨) .

وإذا كان قيام الأمة المسلمة الواحدة أمراً من عند الله ، وقاعدة من

قواعد هذا الدين فلا بد أن يكون الله سبحانه وتعالى قد وضع في دينه الأسس التي يجب أن يلتقى عليها المؤمنون ، كذلك الأسس التي تلتقى عليها الحركات الإسلامية ، لتتجمع الجهود المؤمنة الصادقة كلها في مجرى خير واحد حتى لا تتبدد وتمزق .

إذن فلنتظر في دين الله ، في كتاب الله وسنة رسوله ، لنبحث هناك عن الأسس التي يجب أن نطرحها في واقعنا اليوم ، لتلتقى عليها الحركات الإسلامية ، وليقوم لقاء المؤمنين على طريق بناء الأمة المسلمة الواحدة كما ذكرنا سابقاً .

ومن هذا المنطلق ، يجب أن ندرس واقعنا ، لندرك ما هي أخطر القضايا التي يجب أن نثيرها ، لنعالج القضية المطروحة ، قضية جمع جهود الحركات الإسلامية جمع جهود المسلمين لبناء الأمة المسلمة الواحدة .

فمن كتاب الله إذن وسنة رسوله ﷺ ومن رؤية الواقع الذي نعيش فيه من خلال منهاج الله ، من هذا كله تقدم عرض الأسس التي نتصورها ، ونعتبر أنها أساسية في لقاء المؤمنين ، وجمع جهود الحركات الإسلامية ، على طريق بناء الأمة المسلمة الواحدة .

ومع كل آية أو حديث نجد حقيقة البعد الإنساني لأهمية قيام الأمة المسلمة . للقاء المؤمنين ، حتى يصبح لقاء المؤمنين أمل الإنسان في الأرض كلها ، وحتى يصبح قيام الأمة المسلمة الواحدة في الأرض حاجة كل مظلوم وأمنية كل صادق . إلا عصابة المجرمين ، طغمة المفسدين ، وزهوة الظالمين المعتدين ، إلا أولئك الذين يعيشون على نهب الثروات ،

وسحق الإنسان ، أو تخدير العباد حتى يسكنوا ويلينوا ، إلا أولئك فإنهم لن يجدوا فى قيام الأمة المسلمة الواحدة راحة لهم أبداً . سيحاربونها ما أمكنهم ذلك ، حتى يبقى لهم « نعيم » اللصوص و « متعة » الإجرام .

إن السعى الجاد إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة على جوهر التوحيد وقواعد الإيمان على كتاب الله وسنة رسوله ، على الحق الذى تقوم عليه السموات والأرض إن هذا السعى الجاد هو حقيقة الصخرة الإسلامية وجوهرها .

إن التوحيد بكل صفاته وجلاته هو جوهر قيام الأمة المسلمة الواحدة ، وهو جوهر لقاء المؤمنين . ويحمل التوحيد ذاته أقوى إشارة إلى البعد الإنسانى فى قيام الأمة الواحدة ، حيث يكون التوحيد جوهر فطرة الإنسان حيثما كان ، جوهر وجوده ماضيه وحاضره ومستقبله ، جوهر دنياه وآخرته . فالتوحيد هو أصدق علاقة إنسانية ، وأظهر صلة بين الشعوب وأقوى عروة بين المؤمنين ، ما دام التوحيد صادقاً صافياً .

من هذا البعد الإنسانى لقيام الأمة المسلمة الواحدة ، يحمل المؤمنون فى الأرض مظهراً من مظاهر الصخرة ، وقوة من قوى العمل ، ليخاطبوا العالم كله ، من كل منابر ، بالآيات البينات والأحاديث الشريفة التى تجلو هذه الحقيقة ، وتجعل منهاجها الصادق الأمين ، وتقيم عزتها الصادقة الأمانة .

إننا حين نبرز هذا البعد الإنسانى ، لا نبرز معه الكفر والإلحاد . إن كرامة الإنسان تنهار فى تربة الكفر والإلحاد ، وقد جعل الله الكافرين كالأنعام بل أضل !

وإذا كان الإسلام يحترم حقوق الإنسان من حيث إنه إنسان ، فإنها حقوق لا تهبه الكرامة الحقّة والعزة الطاهرة إلا أن يؤمن بالله وحده لا شريك له .

إن رغيف الخبز والكساء والمأوى ، والماء والهواء ، حق للإنسان حتى يعيش فيبتلى ويمحص . ولكن رغيف الخبز لا يهبه الكرامة والعزة .

وربما ينطلق داعية من الدعاة المسلمين ليدافع عن كرامة الإنسان من حيث إنه إنسان . مهما كان مذهبه ومعتقده . كافراً أو من أهل الكتاب ، أو مجوسياً أو وثنيّاً أو غير ذلك . ونعجب من هذه الدعوة لسبب بسيط . ففي واقعنا اليوم يجد معظم هؤلاء حقوقهم ، إلا الإنسان المسلم الذي يسحق ويذلّ بسبب إيمانه ، ولا يجد من يدعو لحماية كرامته وحقوقه ، ويتطعّ الداعية المسلم ناسياً ذلك كله ، ليدعو إلى حماية كرامة الإنسان الوثنيّ الملحد ، وهي محمية بين أهله الوثنيين ! .

وإن أول حماية لكرامة الإنسان ، وأول حق من حقوقه ، هو أن تبلغه رسالة الله وأن تصان فطرته ليتلقّى الرسالة بصفاتها ، وأن ينال الرعاية والإعداد حتى يتدرب على ممارسة الإيمان وقواعده ، كما يتدرب على الكلام والمشى والطعام وخلاف ذلك ^(١) .

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان النحوي (ص ١١٥ - ١١٩) .

النظرية العامة للدعوة الإسلامية وأسسها

إن قيام نظرية عامة للدعوة الإسلامية ، وإن تحديد الأسس الأولية الكبيرة ضرورة لاغناء عنها في مسيرة العمل الإسلامي لأنها توفر شروطاً هامة وعناصر مؤثرة في سلامة كل حركة إسلامية ، وفي حماية أجواء اللقاء ، لقاء المؤمنين . ويجب أن تتبع هذه النظرية العامة والأسس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن حاجة الواقع الذي تعاني منه اليوم ، ومن النهج العام للدعوة الإسلامية ، النهج الممتد مع الزمن ، حتى يرضى الله الأرض ومن عليها .

لذلك نضع أربعة أسس رئيسية لنظرية الدعوة ، وتؤخذ كلها معاً ، لا يغنى بعضها عن بعض في ميدان العمل والممارسة والدعوة .

ونوجز هذه الأسس الأربعة بما يلي :

١ - بناء التصور الإيماني والتوحيد ، في النفوس على صفاته القرآني .

٢ - دراسة منهاج الله ، قرآناً وسنة ، دراسة منهجية على تدبير وإيمان وتصديق .

٣ - دراسة الواقع البشري من خلال منهاج الله .

٤ - ممارسة منهاج الله في الواقع البشري ممارسة تحمل التقوى ، والتدريب المنهجي على ذلك .

ولابد من إعطاء موجز عن كل أساس من هذه الأسس حتى نبين مدى أهمية كل أساس ، ومدى حاجتنا إليه اليوم في واقعنا ، ومدى مطابقته لمنهاج الله قرآناً وسنة :

١ - بناء التصور الإيماني والتوحيد في النفوس على صفاتها القرآني .

في الأرض مليار مسلم ، كما يمكن أن تبين الإحصاءات ، هذا بمقياس الظاهر لنا على حسب الهوية والانتساب . فهل حمل هؤلاء حقيقة التصور الإيماني وحقيقة التوحيد ؟ ! إن واقعنا اليوم واقع المجتمعات الإسلامية ، يكشف بصورة قطعية عن وجود اضطراب في التصور الإيماني والتوحيد ، نتج عنه اضطراب في الفكر المطروح وتناقص في المواقف والسلوك ، واصطدام بين الجماعات ، واختلال الميزان في أيدي الناس .

إن اضطراب التصور الإيماني والتوحيد لدى كثير من الناس ينشأ بصورة طبيعية ، عندما يضطرب المجتمع وتختل موازينه ، فتضطرب الفطرة وقد تحرف . وغياب منهاج الله عن حياة المسلم اليومية وعن مناهجه الحياتية ، يحرمه من التبع الغني الذي يروى الإيمان ويغذيه ، والذي يصون الفطرة ويحفظها . وامتداد هذا الغياب قرونًا عديدة تمضى في ظلمات الجهل ، لابد من أن يترك أثره في الفكر والتصور الإيماني والتوحيد . وإذا أضفنا إلى ذلك كله غياب القوة الموجهة والقُدوة المعلمة ، رأينا أن الأثر السيء يزداد والانحراف يتسع . ويأتي مع هذه العوامل كلها الغزو الطاغوي من الغرب والشرق عسكرياً وفكرياً وعلمياً ، ويمتد هذا الغزو على مدى قرون ، يحمل معه فتنة الدنيا وزخارفها وزينتها من خمر ونساء وفساد وربما ، ومن فجور وزنا وظلم . ويأتي هذا كله في حماية العلوم المادية المتقدمة ، العلوم التي تغرى الناس حتى يحسبوا أنها الحق وأن الفساد الذي

تحمله حق . تأتي العلوم هذه متداخلة مع كل أنواع الفجور ، حتى لم يعد باستطاعة المستضعفين فى الأرض أن يميزوا بين حقائق العلم وفساد الفجور .

هذه العوامل كلها أدت ، بصورة أو بأخرى إلى اضطراب التصور الإيمانى والتوحيد فى المجتمعات الإسلامية وإلى ظهور أفكار ومواقف متضاربة ، متناقصة ، تشير إلى هذا الخلل .

إن قضية التصور الإيمانى والتوحيد لم تبرز فى ميدان العمل الإسلامى قضية تحمل النهج والخطة لمقاومة عوامل الفتنة والانحراف ، تحت التوجيه الدائم والإشراف ، وإنما لنجد هذه القضية هى المحور الرئيسى لكل سورة من سور القرآن الكريم . بها يرتبط التشريع والأخلاق والعبادات لتظل تمثل فى منهاج الله القضية الأولى والحقيقة الكبرى فى الكون .

إن الموت الذى هو حق لا محيص عنه ، يجب أن يذكر كل إنسان أن الحياة الدنيا هى الفرصة الوحيدة المفتوحة أمام الإنسان ليصح إيماناً وتوحيداً ، ولا فرصة بعد ذلك أبداً ، ولن يفيدته أهل ولا عشيرة ولا منصب ولا جاه ، ولا مال ولا سلطان .

إنه الإيمان والتوحيد والعمل بمقتضاهما ، والصدق فحسب :

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار

وهم فيها كالحون ﴿ (المؤمنون : ٩٩ - ١٠٤) وبلغت خطورة هذه القضية حدّاً عظيماً لا يغفر الله معه لعبد من عباده مات على الشرك أبداً ، ولا يقبل في ذلك عذراً ولا حجة أبداً . إنها القضية الفاصلة الحاسمة :

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ (النساء : ٤٨) .

ومع هذه الخطورة البالغة لهذه القضية والأهمية القصوى ، برز في ميدان العمل الإسلامي رغبة التجمع العديدي على شعارات ومبادئ ، دون توافر المناهج التي تثبت هذا الشعار أو القاعدة ، وتكفل نقله إلى واقع الممارسة والتطبيق . حتى إذا تزاхمت الأعداد وامتدّ الزمن ، تسرّب إلى داخل العمل الإسلامي أمراض المجتمع ، لتعود فتؤثر في داخل العمل الإسلامي . وأن أول ما نشير إليه من هذه الأعراض هو اضطراب التصور اضطراباً دفع بالأفكار المتناقضة إلى حلبة الصراع ، ودفع بالمواقف المتصادمة إلى ميدان الفتنة والشقاق .

وإن أخطر ما نتج عن ذلك هو اضطراب الميزان الذي يزن القضايا والرجال والمواقف والأفكار . لقد اضطرب الميزان أحياناً إلى درجة لا تشعر معها أن التصور الإيماني والتوحيد هما العاملان الأساسيان اللذان يوجهان الفكر والمواقف والأحداث .

لا تشعر أن التوحيد هو التبع الذي يروى ، ولكنك تلمس جفافاً هنا وهناك وشقاقاً هنا وهناك ، وعصية عائلية تغلب أو عصية قومية ، أو مصلحة أو هوى !

لقد أصبح العمل الإسلامي يبدو أحياناً أنه دعوة للتجمع لا دعوة للبناء ندعو الرجل ليكون معي أو تدعوه ليكون معك ، دون أن ندعوه أولاً

إلى صفاء الإيمان والتوحيد على منهج عملي مدروس ، وإلى ولاء خالص لله أولاً وإلى عهد ثابت مع الله أولاً . لقد غابت هذه المعاني وطفت معاني الحشد والجمع ، حتى اضطربت معاني الأخوة في الله ، وغلبت عليها أخوة التجمع ، حتى كأننا نستبدل عصبيات بعصبيات .

لذلك كله نعتبر أن بناء التصور الإيماني والتوحيد على صفاء التصور القرآني هو الركن الأول في النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، وهو الأساس الأول لها ، وهو الشرط الرئيسي الأول للقاء المؤمنين وقيام الأمة المسلمة .

٢ - دراسة منهاج الله وتدبره .

لاشك أن الجميع أو معظم الناس يرفعون القرآن والسنة شعاراً . ولكن السؤال الذي نطرحه هو : هل يؤدي منهاج الله دوره الحق في بناء الإنسان ، في واقع الحياة الإسلامية اليوم ، في واقع الحركات الإسلامية ، في بناء فكر الإنسان وتصوره ، وفي صياغة نهجه وسلوكه ؟ ! إذا نظرنا إلى حقيقة واقعنا لرأينا أن منهاج الله لا يؤدي دوره الحق الكامل في كثير من الأحيان ، وفي أحيان أخرى يكاد يكون مهجوراً ، وفي أحيان أخرى يكون التعامل مع منهاج الله أقرب إلى المظهر والشكل منه إلى البناء والإعداد .

لقد أصبح الإنسان المسلم في زحمة الغزو الفكري من أوروبا وأمريكا وروسيا وغيرها من الدول المتفلته من التوحيد ، وفي ابتعاده في الوقت نفسه عن منهاج الله .

لقد أصبح من خلال هذا كله يقع تحت ضغط هائل من هذا

الفكر الزاحف . وكان من أثر هذا الضغط المستمر أن أخذ يتقبل شيئاً فشيئاً بعض أفكار الدول الغازية ، بغض أفكارهم المتناقضة مع التوحيد وصفاء الإيمان . ثم أصبح تدريجياً يحاول أن يبحث عن مسوغات للتناقص الذى يعانى منه ، وعن مسوغات تؤيد الفكر الغازى وتبين ما يحسبه من محاسن . وكان يساعد على هذا الانبهار كذلك ما كان يحمل معه من شهوات ملتهمه ، ورغبات متأججة تُميت فى الإنسان القدرة على الموازنة الأمانة ، فيحرف فى تيار من الفتنة شديد .

لقد أصبح من هؤلاء من ينظر إلى الفكر الغربى على أنه النموذج الذى يجب أن يحتذى فى الفلسفة الإنسانية ، والأدب ، وفى معانى الحرية والعدالة والمساواة ومعانى الأمن والسلام . ولقد غدّى هذا الاتجاه ما يعانىه المسلم فى مجتمعه من ظلم وطفغان واضطراب ، وخلل فى الموازين والمقاييس ، وضعف فى الإدارة والنظام وينظر إلى الغرب فىرى الإدارة والنظام قد قادتة إلى تقدم علمى كبير . ويأتى هذا التقدم العلمى الكبير ليوحى بظلاله بأن الفكر العربى نموذج يحتذى . لقد غاب عن بال الكثير أن « الفكر » الغربى والشرقى هو مصدر شقاء الإنسان فى الأرض ، مصدر قلقه وخوفه وحيرته . مصدر اضطرابه وأمراضه ، مصدر انحلاله وفساده . لقد دفعهم مفهوم « الحرية » لديهم إلى أسوأ ما عرفته البشرية من انحلال خلقى ، يدمر المجتمع والأمة تدميراً لا ينكشف إلا بعد قرون ، ولات ساعة مندم ، وحين تمضى سنة الله فى خلقه وعباده .

لقد أصبحت معانى المساواة والعدالة لديهم تبيح طرد شعب كامل من أرضه ومنحها لشعب لا حق له بها . لقد أصبحت معانى العدالة تسوغ فى نظرهم نهب خيرات الشعوب وثرواتها ، وإفقار الشعوب وذبحها فى

مجازر لما تجفّ في الأرض بعد .

أمران تميزت بهما زخارف الغرب والشرق هما : التقدّم العلمي والتنظيم الإداري وهما بابان مفتوحان لخلق الله كلهم ، لشعوب الأرض كلها . فقد ظهر التقدم العلمي في أوسع ظلال الوثنية في اليابان ، وفي ظلال الإلحاد المكشوف في روسيا وفي ظلال الرأسمالية وقبل ذلك في ظلال الإسلام . فهذان الأمران غير مقيدين بفكر محدد فمن جدّ وسعى نال فيهما حظاً على قدر جده وسعيه . هذه هي سنة الله في الحياة الدنيا . فلا حقّ لأحدٍ إذن أن يعتبر التقدّم العلمي دليلاً على صحة المنهج الفكري وسلامته .

أما في واقعنا فقد غلبنا القعود والهوان ، فما نهضنا للمسمى في الأرض ولا نهضنا للدراسة والبحث والاكتشافات ، وكذلك أخذنا نستجدي الفكر من هنا وهناك حتى غلبتنا شقوتنا ، ورتعنا في ذلنا وشتاتنا . وهجرنا أعظم فكر لدى الإنسان ، هجرنا منهاج الله . والسعيد السعيد الذي أخذ زاداً قليلاً من هنا وهناك على غير منهج والقليلون الذين أخذوا الأخذ العادل الأمين . فلا بد إذن أن يعود منهاج الله إلى حياة أمتنا ليؤدّي دوره الذي أداه في مدرسة النبوة ، على منهج مدرّس وخطّة واعية ، وصحبة كريمة .

هذا هو الأساس الثاني في النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، والركن الثاني في لقاء المؤمنين ، وفي بناء الأمة المسلمة الواحدة . ولا ينفصل أساس عن أساس وإنما هي أسس متشابكة متماسكة تعمل كلها معاً في آن واحد ، في مدرسة الدعوة الإسلامية .

٣ - دراسة الواقع دراسة منهجية من خلال منهاج الله .

إذا نظرنا إلى واقعنا اليوم ، وإلى تاريخنا الحديث ، وإلى واقع الحركات الإسلامية نجد أن قضية الواقع ودراسته وفهمه ، في جميع مستوياته ، كانت عنصراً مهماً أشد الإهمال . فحين كانت تنهض البلاد الإسلامية ، أو تحاول النهوض للتقدم كان جهلها بالواقع من أهم الأسباب التي دفعتها للوقوع في شرك الأعداء . فكم خدع المسلمون بعدوهم فصاحبوه حتى فتنهم وفرقتهم وأذلهم ، وكم حارب المسلمون بعضهم بعضاً إرضاء لعدوهم ماكر . وكان جهل المسلمين بالواقع الدولي مصدر نكبات مروعة ومصائب ومآس .

وإذا تدبرنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجدنا أن دراسة الواقع تمثل جزءاً من مسؤوليته المؤمن في الحياة ، وجزءاً من الأمانة الكبيرة التي يحملها وإذا كان المسلم مكلفاً بتطبيق منهاج الله في واقعه ، في جميع ميادين مسؤوليته ، فلا بد إذن من أن يفهم المسلم واقعه هذا حتى يستطيع الوفاء بالممارسة والأمانة والعهد .

ولا تكون دراسة مسئولية فرد واحد أو أفراد . إنها مسئولية كل فرد في نطاق وسعه وطاقته ومسئوليته ، وهي مسئولية الجماعة والأمة والدعوة بمؤسساتها وهيئاتها وإداراتها المختلفة .

إننا لا نقدم دراسة الواقع من زاوية جزئية في ميدان محدود ، ولكننا نقدمها جزءاً من نظرية إيمانية متكاملة الأجزاء نعرضها بكل شمولها الإيماني واتساعها الفكري لتأخذ دورها الحق في الدعوة والنهج والبناء والتربية والممارسة الإيمانية ، في حياة الفرد المؤمن والجماعة والأمة ،

متجاوزة كل النظرات المحدودة التي عرضت من قبل سواء في الفكر الأوربي وأدبه ، أو في غيره . إنها تنبع من الإيمان والقرآن والسنة .

٤ - الممارسة الإيمانية لمنهاج الله .

إن الممارسة الإيمانية تحتاج إلى تدريب منهجي في الدعوة الإسلامية ، في مدرستها الممتدة مع الزمن .

يمكن للمسلم أن يتدرب على تلاوة آية كريمة بكل شروط التلاوة وآدابها ، ويمكن له أن يدرس تفسيرها في أوسع التفاسير ، ويمكن له أكثر من ذلك أيضاً ، يمكنه أن يحفظ الآية أو السورة أو القرآن الكريم كله . فهل هذا يكفي ؟ ! كلا إنه لا يكفي ! قد ينال المسلم أجره على تلاوته ودراسته وحفظه ، فذلك كله حسابه عند الله الذي لا يظلم أحداً أبداً ويجزي بميزان دقيق أمين . ولكن الثواب الأكبر هو عند ممارسة هذه الآية أو تلك ممارسة إيمانية صادقة ، وعملاً صالحاً يتقرب به إلى الله .

إن هذه الممارسة الإيمانية تعطى التلاوة والدراسة والحفظ بهاءً وراءاً وجمالاً ، وبدون هذه الممارسة قد تجف التلاوة وتفقد بعض روائها . وكذلك الدراسة والحفظ . وكما يحتاج المسلم إلى التدريب على التلاوة والدراسة والحفظ ، فإنه يحتاج أيضاً إلى التدريب على الممارسة الإيمانية في سائر ميادينها تدريجياً علمياً منهجياً . فبغير هذا التدريب والإعداد في مدرسة الدعوة ، قد يدرس المسلم قاعدة إيمانية ثم يمارس في واقع الحياة قاعدة جاهلية . قد يدرس المسلم قاعدة « إنزال الناس منازلهم » مثلاً ، ويعي قواعدها الإيمانية . فإذا نزل إلى ميدان الحياة أثر الرحم على غير

عدالة ، أو نصرَ الأهل والعشيرة على غير حق ، وملكته العصبية الجاهلية ، ويظل يعاني من صراع داخلي بين قوتين تعملان في نفسه وفكره . لا يهدأ هذا الصراع الخفي الداخلي إلا بالإيمان الذي يمارسه في واقع الحياة ، فيعطى كل ذي حق حقه ، ويعطى الرحم حقه الذي حدده الله ، ويعطى سائر الناس حقوقهم . ويظل ولاؤه الأول لله سبحانه وتعالى ولاءً ينبع منه كل ولاءٍ له في حياته الدنيا .

وبهذا الإعداد والتدريب يتحقق معنى أحاديث رسول الله ﷺ التي تطلب أن يرتبط العلم بالعمل .

فمن أبي بركة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه) « أخرجه الترمذى » (١) . هذه الأسس الأربعة متكاملة مترابطة متناسقة تكون النظرية الأساسية العامة للعمل الإسلامي .

وعلى هذه القواعد والأسس تتحدد كل أهداف الدعوة الإسلامية في مسيرتها وتحدد ميادين العمل ومراحله .

من هنا ينطلق النهج العام للدعوة الإسلامية ، النهج الذي يسوغ قيام الحركات ويجلو مسيرتها ، لتتقدم إلى البشرية كلها ، إلى الإنسان في الأرض بأعظم رسالة عرفها الإنسان على نهج يليق بهذه الرسالة العظيمة .

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) محمد ناصر الألباني ٧١٧ - ٣٠٠٢ ،
سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٤٦ .

من الخطأ الكبير أن تمضى الدعوة الإسلامية دون نهج متميز ،
منهج تفصيلي يحمل معه صدق النية وتفاصيل الدرب ومراحلها ،
ووضوح الأهداف .

إن وجود هذا النهج بعناصره هذه كلها هو مظهر هام من مظاهر
الصحة الإسلامية وضرورة ملحة لها ، وقاعدة أساسية فى الدعوة
الإسلامية الممتدة فى الزمن كله .

ومن أهم معالم النهج الأهداف الجلية الواضحة ، الأهداف التى
تتعلق بها القلوب والأنظار ، والتى تكوّن المعالم الحقيقية على الدرب
إلى الجنة .

وعند وضع تفاصيل الدرب والأهداف المرحلية ، تكون من مسئولية
الدعوة ومن مسئولية كل مسلم أن يطمئن إلى النقاط التالية .

أولاً : أن الأهداف جميعها ربّانية تابعة من منهاج الله .

ثانياً : أن كلّ هدف يؤدى حقيقة إلى الهدف الذى يليه ،
ويرتبط به ، وأن الأهداف كلها ترتبط بالهدف الأسمى « الجنة » .

ثالثاً : أن تفصيلات الدرب واتجاهه يرتبط الأهداف حقيقة لا
وهماً وشعاراً ، وأن الدرب كله هو باتجاه الأهداف غير منحرف عنها ولا
معاكس لها .

رابعاً : أن تفصيلات الدرب تابعة كذلك من منهاج الله ،
كذلك الوسائل والأساليب ، وكذلك الممارسة والتطبيق .

إنها مسؤولية المؤمن نفسه أن يطمئن على توافر ذلك كله وعلى سلامته ووضوحه وعلى التقاء العزائم وقيام العهد على الوفاء بها . ونعالج الخطأ فكلُّ بني آدم خطاء . ولكنَّ الإصرار على الخطأ ، أو الانحراف ، وعدم ردِّ الأمور إلى منهاج الله ، هذا كله يحتاج إلى وقفة وتدبّر ، ومحاسبة نفس ونصح أمين وتعاون صادق كريم^(١) .

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان النحوي (ص ١٢٢ - ١٤٤) باختصار .

الغاية

« إن مشكلة اختلاف العاملين ، وتباين وجهات نظرهم الأساسية في طريق العمل الإسلامى في ظروفه الراهنة ، وإن وجود جماعات جديدة أو إتجاهات محدثة ، لن يضيف إلى واقع العمل الإسلامى إلا المزيد من الفرقة ، وأسباب التعصب ، وتشتيت الجهود ، وإشاعة الوهن . وإن أى جهد أو تحرك يغفل حل مشكلة الخلاف فى الصف الإسلامى ، يكون قد تجاوز مفتاح الحل الأكيد ، وأضاع جهده فى مجالات جانبية ، والمطلوب من مختلف العاملين توجيه جهد أساسى لحل هذه المشكلة ، والإسهام فى الخروج منها ، بتلمس المسببات الحقيقية لهذه المشكلة وطرح الحلول لها . » (١) .

وه إن لقاء المؤمنين الذى ندعو إليه لا يأتى ثمرة قرار يتخذه الجالسون على أرائك الأمنى والأحلام ولا ثمرة ندوة وحوار ، ولا ثمرة خطوة مرتجلة ، ولا هو لقاء مصالح مشتركة فى عرض الدنيا وزينتها .

إن لقاء المؤمنين هو لقاء القلوب التى آمنت بالله وأنابت إليه وخشعت له ، صادقة تائبة عابدة مجاهدة فى سبيله راغبة فى جتته راضية إليها .

إنه لقاء القلوب التى آمنت بأنها تحمل رسالة عظيمة للبشرية ، رسالة الله إلى عباده . من أجل هذا اللقاء لأبداً أن تتوافر فى الواقع تربة تسمح

(١) « فى منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة » أحمد سلام (ص ٥٩) .

بنمو هذه الغرسة ، تربة تقاوم عناصر المرض حتى تقضى عليه ، فينمو
غراس الإيمان فى تربة غنية وريٌ غنىٌ وهواء نقى ، تحمل فى جذورها
وساقها وفروعها وثمارها عوامل مقاومة الفساد .

لقاء المؤمنين ينطلق من الحركات الإسلامية ما دامت مناهجها نقيّة
صافية جليّة واضحة . فإن تخلّت الحركات الإسلامية عن ذلك
وتمسكت التجمعات الإسلامية بعصبياتها ، واشتدت بينها أسباب النزاع ،
فإن الله يهيبىء برحمته جنوداً له يحمون دينه ودعوته ورسالته :

﴿ والله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾

(الفتح : ٧) .

سيهيبىء الله دائماً لدعوته ودينه جنوداً يصبرون على البلاء حتى
يمحصوا فلا يبدلوا ولا يغيروا ، حتى ينزل الله نصره عليهم . هؤلاء هم
الفئة الظاهرة الثابتة فى الأرض ، الماضية مع الزمن ، الظاهرة على الحق ،
القائمة بأمر الله ، تحمل سائر الخصائص الربانية التى تؤهلها بفضل الله
ورحمته لهذه المهمة العظيمة ، وتكون دائماً نواة لقاء المؤمنين فى
الأرض ، نواة الصحوة الممتدة والمتجددة .

إن لقاء الحركات الإسلامية على أسس مدروسة وصورة علمية
يجب أن يحتل مكانه عالية فى اهتمام المؤمنين العاملين جميعهم ليأخذ
هذا اللقاء دوره الحق فى بناء الأمة المسلمة الواحدة بخصائصها الربانية ،
فى بناء الوحدة الإسلامية .

يجب أن يتال هذا الأمر اهتمام المسلم العادى ، واهتمام الحركات
والجماعات واهتمام القوى العاملة كلها ، واهتمام الرأى العام .

ومهما وضعنا من أسس لهذا اللقاء فهنا لك قاعدة أساسية لا بد من توافرها أولاً وهي الشرط النفسى . لا بد من أن تتوافر القناعة الأكيدة لدى الحركات نفسها ، لدى قادتها ولدى أفرادها ، لتمثل هذه القناعة وعياً إيمانياً حقيقياً ، وتغيّراً ضرورياً فى داخل النفس ، وعياً ممتداً وتغيّراً عاماً .

إننا نؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يجمع القلوب والسواعد وهو القادر على أن يغيّر واقع الفرقة والتمزق والشتات . ولكن الله سبحانه وتعالى فرض فى هذا الكون سنة ماضية غالبية . ومن هذه السنن الغالبة قوله سبحانه وتعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال ﴾ (الرعد : ٩ - ١١) .

نعم هذه هى السنة الغالبة الماضية التى تعيننا هنا : ﴿ ... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... ﴾ .

نعم أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعلها من مسؤولية الإنسان ، المسؤولية التى سيحاسب عليها يوم القيامة . فينال أجر ما أحسن أو وزر ما ظلم . الإنسان نفسه مكلف بأن يغيّر ما بداخله . ما فى أحنائه ، ما فى قلبه وصدره . إنه هو المسئول عن ذلك فى ميزان الله ، لأن الله سبحانه وتعالى زوّده فى فطرته ، وفى قدراته وطاقاته ، وفى وسعه ، بما يعينه على تحقيق ذلك . زوّده فى فطرته بالإيمان والتوحيد . وزوّده فى كيانه بالسمع

والبصر والفؤاد ، لينفذ من خلالها إلى آيات الله المبثوثة فى الكون كله ؛ لتذكره ولتثبت فى قلبه الإيمان والتوحيد . وبعث له النبيين والمرسلين وأنزل معهم الكتاب حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أبداً .

لابد إذن أن تبدأ الانطلاقة من ذات الإنسان ، من ضمير الحركات الإسلامية ، لتطرح منها كل القيود والمعوقات وكل الأهواء والشهوات ، لتغير هي من نفسها ، من واقعها ، فيغير الله ما بها ويهيىء لها أسباب التلاقى ، وقد عقدوا كلهم النية فى نفوسهم والعزيمة فى قلوبهم ، وعلم الله منهم ذلك ، فيسر لهم الأسباب وفتح لهم الأبواب .

هذه هى القضية الأولى التى يجب أن نعلنها منذ اللحظة الأولى .

يجب أن نعلنها ونكررها ونؤكددها ، حتى لا يبقى عذر لأحد . ولا بد من الإعادة والتكرار ذلك لأن الخطر كبير داهم ، ولأن القضية مهمة وعظيمة .

عن ثوبان رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ (إن الله روى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها . وإن أمتى سيلغ ملكها ما روى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر وإنى سألت ربي لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال لى : إني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً) (أخرجه مسلم والترمذى وقال حسن

صحيح وأبو داود (١١) .

هذا الحديث، الشريف العظيم جمع القضيتين السابقتين ، وأبرز حقيقة المرض في المسلمين اليوم ومكمن الخطر فيهم . جمع الحديث قوة الأمة المسلمة التي وهبها الله لها ، ووعدهم بالحماية حتى لا يستبيح أحد بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها . فأى حماية يرجو المسلمون أعظم من ذلك ؟ ! .

لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم : الدول الكبرى والصغرى والصليبية والشيوعية والصهيونية والوثنية كلها ، لو اجتمع هؤلاء كلهم ضد المسلمين فإن الله وعد رسوله ووعد بذلك أمته بحمايته لهم حتى لا يستبيح أحد بيضتهم إلا في حالة واحدة فقط لا تتحقق فيها هذه الحماية ، ولا تنطبق عليها عند عندئذ شروط العهد : « حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضاً » . أى حين يدب الشقاق بين المسلمين ، وتنتشر الفتنة أو يغلب الهوى والشقاق والتدابير . هنا في هذه الحالة يتعرض المسلمون لخطرٍ داهمٍ من عدوٍ من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم . وآية ذلك في تاريخنا الممتد . آية ذلك ما تعانيه الأمة من تمزق وشتات ، وفرقة على عصبية جاهلية أخذت ألف لون وشكل . هنا نصبح غشاء كغشاء السبيل وهنا ينزع الله من صدور عدونا المهابة منا ، وهنا يقذف الله في قلوبنا الوهن ، حب الدنيا وكرهية الموت . واسمعوا إلى رسول الله ﷺ حديثاً كأنه تنمة للحديث السابق ، ويستكمل الصورة كلها :

(١) سنن الترمذى . كتاب الفتن (٣٤) باب ١٤ حديث : ٢١٧٥ .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكرهية الموت) (رواه أحمد وأبو داود)^(١) إذن هيا الله لعباده جميع أسباب لقاء المؤمنين على أوفر غنى ، وأوسع يسر ، ولا يبقى إلا ما هو فى دائرة مسئولية الإنسان ، مسئولية كل مسلم سيحاسب عليها بين يدي العزيز الجبار . فلينهض المسلمون إلى أمانتهم ، ولتنهض الحركات الإسلامية إلى مسئوليتها الأولى ولا بد أن يتم اللقاء علي خطة ومنهج يجمعان القوى المؤمنة الصادقة والمواهب المؤمنة العاملة ، لتصب الجهود فى مجرى خير واحد . ولا بد أن يقوم النهج على أساس من منهاج الله والواقع الذى نمر به ، حتى يكون فى النهج والخطة علاج حقيقى لما نعانى من ضعف وأمراض .

من هذا المنطلق نقدم ما نؤمن أنه أساس ضرورى لكل لقاء بين المؤمنين أساس لا غناء عنه ، ولكن هذا الأساس يظل يحتاج إلى النية الصادقة ، والعزيمة الأكيدة ، حتى يعطى فائدته وجدواه وهو فى الوقت نفسه أساس يساعد على توفير النية وبنائها ، والعزيمة وشدها ، بإذن الله لمن يشاء الله له أن يهتدى .

(١) سنن أبى داود. كتاب (٣١) باب (٥) حديث (٤٢٩٧) .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) .

و سبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، وأشهد أن لا
إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كَبَّهُ

محمد يـومـى

المنصورة

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان النحوى (ص ٣٩ - ٤٥)
باختصار .

الفهرس

ص	الموضوع
٥	• مقدمة تشتمل على معنى العبادة ودم الفرقة فى الكتاب والسنة
٩	• المفهوم الصحيح للولاء والتزام منهج الله
١٢	• إعتقاد كل جماعة أنها جماعة المسلمين !!
١٣	• ما المقصود بـ « الجماعة » التى يأتى المسلم بتركها ؟
١٧	• الرابطة التى تجمع المسلمين بعضهم ببعض
٢١	• الواقع بين الجماعات الإسلامية الآن
٢٣	• أختلاف السلف والأئمة
٢٤	• العمل الجماعى المنظم واجب شرعى
٢٥	• العمل للإسلام من خلال هذه الجماعات أمر لا غبار عليه
٢٨	• آفات التحزب والتعصب
٣٢	• ولهذا فهم يرفضون النصيح ويحبسونه هدماً
٣٤	• نتيجة الجماعة : رحمة الله ورضوانه
٣٤	• ونتيجة الفرقة : عذاب الله ولعته
٣٥	• الراجون رحمة الله
٣٨	• قلة تنفذ الموقف
٣٩	• كيف نلتقى ؟
٤٠	• قواعد الحوار
٤٠	(١) عدم تسفيه المخالف فى الرأى أو تجهيله أو التهكم عليه
٤١	(٢) ترك المراء
٤١	(٣) السماع الكامل
٤٢	(٤) رحمانية الحوار
٤٣	(٥) إعطاء كل ذى حقاً حقه

ص	الموضوع
٤٥	• عوامل مساعدة على وحدة الصف
٤٥	(١) التحذير من نشر الشائعات
٤٧	ما ينبغي على المسلم عند سماعه مثل هذه الإشاعات والأخبار
٥٠	(٢) النظر في حال الجراح
٥١	(٣) الثبوت من الأخبار
٥٤	(٤) رد الغيبة على المعتاب
٥٦	(٥) كلام الأقران لا يقبل ويطوى ولا يروى
٦١	• معنى لقاء الحركات الإسلامية وأهميته
٦٤	• خصائص الأمة المسلمة الواحدة
٧٠	• البعد الإنساني للأمة المسلمة الواحدة
٧٧	• النظرية العامة للدعوة الإسلامية وأساسها كالاتى
٧٨	(١) بناء التصور الإيماني والتوحيد في النفوس على صفاتها القرآني
٨١	(٢) دراسة منهاج الله وتدبره
٨٤	(٣) دراسة الواقع دراسة منهجية من خلال منهاج الله
٨٥	(٤) الممارسة الإيمانية لمنهاج الله
٨٩	• الخاتمة

دار الأمان

للطباعة والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩